الفصل الرابع
الرياضة فى العصور الإسلامية

obeikandl.com

الفصل الرابع :

الرياضة فى العصور الإسلامية :

وفى عهد الفتوحات الإسلامية نشطت الحركة الرياضية ودخلت عليها لعبات جديدة وتجلت مظاهر الرياضة فى ذلك الوقت فى جمعيات الفتوة .

ومن المعروف أنه كان للرياضيين فى مصر منذ العصر اليونانى رابطة رياضية ثم إختفت وظهرت ثانية بصورة واسعة فى ظل الحكم الإسلامى ، وكانت تعرف بإسم (أرباب الملعوب)

اما أول رابطة خاصة برياضة معينة فكانت رابطة الرماة التى أسسها الناصر لدين الله فى العصر العباسى وجعل من نفسه رئيساً لها ، وكان هو نفسه يلبس سروال الفتوة .

وكانت فتوة الناصر لدين الله مصحوبة كما سيأتى بشرب كأس الفتوة فنقل الغرب هذا التقليد وراحوا يشربون كأس القديس Grael (١٥) .

كما كان بالقصر الفاطمى (مجلس اللعبة) للإشراف وتنظيم الألعاب التى كانت معروفة آنذاك .

توحيد الملابس الرياضية :

ونعود لجمعيات الفتوة التى كانت مقصورة بادىء الأمر على فتيان سلالة على بن أبى طالب ثم شملت تدريجياً كل من إمتاز بفتوته وبراعته فى فنون الرياضات المختلفة حتى صدر فى اليوم التاسع من شهر صفر لسنة ٦٠٤ هـ مرسوماً حدد أحكام الفتوة العامة وآدابها .

وكان من أنظمة جمعيات الفتوه تلك لبس سراويل خاصة كانت تسمى سراويل الفتوة .

وكانت فى ذلك الوقت شعاراً رياضياً ينم عن حركة تنظيمية جديدة إستهدفت توحيد الملابس ليتأكد أن الملابس الرياضية عرفت عند العرب قبل أن تعرف فى أية

obeikandl.com

ثقافة سواهم بمئات السنين .
حتى أن الفيلسوف أفلاطون أورد عبارة ذات دلالة تعضد كلامنا فيقول :" يجب أن ننتبه إلى أن الإغريق سلكوا سلوك البرابرة حين تخلوا عن ملابسهم الرياضية فقد كان مخجلاً ومثيراًللعار أن يظهر الرجال عراة " .
وقد كانوا يطلقون على المعهد الرياضى إسم (جمناسيوم) كما أشرنا سابقاً لأن الرياضيين كانوا يتدربون فيه وقد تخففوا من ملابسهم الرياضية ، ومقابل كلمة عراة فى اليونانية القديمة هو (جمنوس) Gemenos .

إختلاف الملابس الرياضية بإختلاف الألعاب :

ولقد حافظ الذوق العربى على تلك الملابس الرياضية لاحقاً وطور منها ، فكان (التبان) هو الزى الرسمى لرياضة المصارعة ، والتبان هذا يختلف ما بين طويل وقصير وضيق وواسع فضفاض .
كما ظهر من ملابس المصارعين غطاء الجزء العلوى من الجسم ذات أكمام وأنصاف أكمام .
وكان لرياضة التحطيب ملابسها الخاصة وكانت عبارة عن ملابس طويلة فضفاضة حيث تتكون من جلباب بأكمام طويلة ، أما أسفل الجلباب فيوجد سروال ضيق يصل حتى القدم .
وفى أغلب الأحايين كان المحطبون يرتدون أغطية للرؤوس تشبه الخوذة وملفوف حولها عمامة بسيطة وربما كانت هذه الخوذ من مواد صلبة حتى تقى الرأس من الضربات .
أما ملابس رياضة الرماية فهى سراويل عبارة عن سترات مثنية أربع ثنيات وقد تصل إلى الركبة وكانت خاصة برماة القوس والسهم .
وملابس الرماة بوجه عام فكانوا يلبسون ثوباً شبيهاً بثوب الصياد المقاتل ويتمنطقون بزنار يثبت فيه خنجراً ، والثوب فى العادة يكون مخططاً ويستكملون زينتها بتزويدها بالقسى والخناجر وغيرها .
أما أسفل هذا الثوب فيوجد رداء يغطى الصدر واليدين ، ويراعى فى هذه الملابس كونها واسعة لكى تتيح للفارس سرعة التحرك وتغيير أوضاعه بسرعة

كذلك إختلفت وتعددت أغطية رؤوس الفرسان الذين يمارسون هذه الألعاب وكانت فى أغلب الأحايين عبارة عن خوذة يلتف حولها ما يشبه العمامة وكانت الملابس الخاصة بلعبة البولو مكونة من صدار موشى ومنطقة من الذهب وخف أحمر .

أما ملابس رياضة الصيد فتتكون من ثوب أحمر مذهب وعلى رأس الرياضى عمامة من نفس اللون .

وقد إرتبط مع ملابس الصيادين لبس قفازاً على يدى الصائد حتى يقى يديه من أذى المخالب الجارحة .

وحين أراد شاعراً أن يحمل بازاً على كفه البسه قفازاً ذا شعر صنعه من جلد سنجاب ليقيه ذلك القفاز من البرد ويحميه من مخالب البازى إذا ظفر فقال :

كسوت كفى دسيبا مشعراً فروة سنجاب لؤاما أدبراً

يحمى بنان الكف ألا يحضرا وغمزة البازى إذا ما ظفرا

فى حين إختلفت ملابس فرق ألعاب الأكروبات قبل القرن الثامن عشر الميلادى وبعده ، فقبل ذلك التاريخ كانت تلك الفرق ترتدى سروالاً فوقه قميص ضيق له أكمام قصيرة أو بدون قميص .

أما بعد ذلك التاريخ فكانت ملابس فرق الأكروبات تتكون من طاقية صغيرة للرأس وسروالاً ضيقاً يصل إلى الركبة ، وقميصاً ضيقاً أيضاً ترفع أكمامه إلى ما بعد الكوعين ، وحزاماً يربط بإتقان حول الوسط .

الرياضة فى كتب اللغة والأدب :

وما أكثر كذلك ما حفل الأدب العربى بمؤلفات فى الرياضة ومقاصدها السامية فكتب الأمير عبد الله بن المعتز كتاباً بعنوان (الجوارح والصيد) .

وفى القرن العاشر الميلادى كتب الأديب محمود بن حسين المعروف بإسم (كشاجم) كتاباً بعنوان (المصايد والمطارد) .

حيث إسترجع فيه أحد المؤلفات القديمة الذى فقد ويرجح أنه يعود للعصر الأموى ويتناول أحكام الصيد فى الإسلام وأقوال العلماء فيه وكذا طبائع الحيوان ووسائله فى الدفاع عن نفسه .

كما يتناول الطرق التى يتوصل بها إلى الصيد والآلات التى تستخدم فى ذلك . كما

يورد الأقوال والأشعار والأراجيز التى قيلت فى رياضة الصيد وفى كل جارحة من الجوارح .

وفى القرن الرابع عشر الميلادى كتب إبن المنكلى كتاباً بعنوان : (أنس الملا فى وحش الفلا) وإبن المنكلى كاتب متخصص فى أدب فنون الصيد كما مارس بنفسه هذه الرياضة وفى كتابه هذا يورد وصفاً مفصلاً للإمساك بالفهود وترويضها .

وكتب العلامة حمزة بن على الناشرى كتاباً ضخماً يتناول فن الصيد أيضاً يحمل بعنوان (إنتهاز الفرص فى الصيد والقنص) .

وكتاب الفاكهى (مناهج السرور والرشاد والسباق والصيد والجهاد) .

وكتاب (الصيد والذبائح) لمحمد بن الحسن وقد درس فيه الصيد من الناحية الفقهية .

وقريب منه كتاب (أحكام الصيد) لمؤلفه القاسم بن على بن حسين الزينبى .

وكتاب (عجائب المخلوقات) للقزوينى ، وكتاب (الحيوان) للجاحظ ، وكتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدميرى .

وكتاب (الإعتبار) لإبن منقذ، وكتاب (الطير) للسجستانى وكتاب (الوحوش) للأصمعى .

وكتاب ألف فى القرن التاسع أو العاشر الميلادى لمؤلف مجهول بعنوان (الصيد والطرد عند العرب) ويمتاز بحسن العرض والإيجاز والوضوح والإفادة من التقدم العلمى فى فن الصيد .

وكتاب : (علم الصيد بالطيور) لمؤلفه الغطريف بن قدامة ولأهميته القصوى سعى الأمبراطور الالمانى فريدريك الثانى Frederick للحصول عليه وأمر تيودور الأنطاكى Theodore Of Antakya الذى كان يعمل مترجماً فى بلاطه أن ينقله إلى اللاتينية وذلك بين سنتى (١٢٤٠ ـ ١٢٤١ م) .

وكتاب (منافع الطيور) أو (كتاب الطيور) للحجاج بن حيثمة وهو أقدم ما وصل إلينا من كتب البيزرة فى اللغة العربية .

وكتاب (الكافى فى البيزرة) لمؤلفه عبدالرحمن بن محمد البلوى وهو من أفضل المؤلفات الحاوية على عدد كبير من أمراض الطيور مع طرق تشخيصها

ومداواتها والوقاية منها .
وقريب منه كتاب (الجمهرة فى علوم البيزرة) لمؤلفه عيسى بن حسان الأسدى من علماء القرن الثانى عشر الميلادى .
وكتاب (البيزرة) من تأليف أبى عبدالله بن الحسين بازيار العزيز لدين الله الفاطمى .
وغيرها من الكتب التى تناولت أحكام الصيد وأحواله وأنواع الحيوان والطيور ومواسم الصيد وأهدافه وآدابه والتى لم تنقطع يوما حتى قام الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بوضع كتاباً فى رياضة الصيد بالصقور من التراث العربى طبع ونشر سنة ١٩٧٦ م.
وكتب إبن أبى حجلة التلمسانى كتاباً بعنوان : (أنموذج القتال فى نقل العوال فى الشطرنج) .
وأهم ما فيه أشكال وصور النقلات الأخيرة لأندر وأجمل ماعرف من الأدوار فى تاريخ الشطرنج العربى حتى القرن ١٤ م .
وأراد بالعوال فى إسم الكتاب جمع (عالية) وهو لقب كان يطلق على من يبلغ القمة فى الشطرنج .
وكتب البلخى كتاب (الشطرنج) ، وكتب أبو العباس العدلى كتاباً يحمل نفس العنوان (الشطرنج) .
ويعد هو والصولى من أشهر من صنف كتباً فى العصر العباسى فى هذا الجانب وفى هذا الصدد يجب أن نشير إلى أن مكتبة جون ريلاندز Gohn Ryands فى مانشستر Mannchester قد حظيت بعدد من المخطوطات العربية الباحثة فى الشطرنج حفظت فى القسم الشرقى من المخطوطات فى المكتبة .
وكان منجانا Mingana المفهرس الشهير فى النصف الأول من القرن العشرين قد بحث فى المخطوطات العربية الموجودة فى المكتبة وأعاد المستشرق سوموجى Somogyi الكتابة عنها .

ومن أبرز هذه المخطوطات كتاب بعنوان : (كتاب النزهة فى الشطرنج) تأليف أبى زكريا يحيى بن إبراهيم الحكيم .

لكن العنوان الأصلى للمخطوط كما يذكر سوموجى هو : (أرباب العقول فى الشطرنج المنقول) .

والمخطوط الثانى المهم الموجود بنفس المكتبة يتألف من متفرقات منها رسالة بعنوان(فصل فى موضوع الشطرنج وما فيه من حكم) .

ويتألف من مقتبسات طويلة من قصيدة هى أرجوزة شعرية لإبن الهبارية وتتضمن شعراً فى مدح رياضة الشطرنج ويعود تأريخ نسخ الرسالة إلى سنة ١٧٦٧ م .

ولم ينشر كثير من المخطوطات المتعلقة برياضة الشطرنج لكن المستشرق الإسبانى الأب فيليس باريخا Felix Bariga عثر على مخطوط هام مع ترجمته إلى اللغة الإسبانية فى جزئين أحدهما يحوى النص العربى للمخطوط والآخر للترجمة مع دراسة وافية عن الكتاب وقد طبع فى مدريد سنة ١٩٣٥ م .

obeikandl.com

وهناك مخطوطات أخرى فى الشطرنج منها على سبيل المثال : (رسالة فى الشطرنج) ضمن مجموعة المكتبة الظاهرية بدمشق وقد نقلت إلى مكتبة الأسد الوطنية (١٦) .

وهى لمؤلف مجهول وتبحث فى تاريخ الشطرنج وكيفية إختراعه وطرق لعبه .

وتوجد مخطوطة أخرى وهى كتاب : (زاجرة المحتج فى لعب الشطرنج)

و (عمدة المحتج فى كيفية الشطرنج) للمؤلف عبدالرحمن السخاوى شمس الدين محمد من علماء القرن ١٥ م .

وتبحث مقدمة الكتاب فى كيفية ضبط الشطرنج والتعريف به وأول من وضعوه وفى البيان عن تصنيف رقعه وسبب وضعه .

وكتاب (لعب الشطرنج الهندى) لمؤلفه المظفر بن سعد ، وكتابان لمؤلفين مجهولين هما : (شقائق الأترج فى لعب الشطرنج) و (نزهة الفلك فى لعبة الشطرنج) .

ولا ننسى ماورد فى كتاب (تاريخ الشطرنج) للاعب المخضرم وصاحب النظريات فى علم الإفتتاح الشطرنجى وهو (برتوق) من أن رجلاً سورياً يدعى فيليب سطاما عاصر الشطرنجى الكبير والموسيقار الفرنسى الشهير فيلدور Felydor وذلك فى القرن ١٨ م .

وقد عاش هذا الشطرنجى السورى فى لندن وألف كتاباً عن الوصفيات فى الشطرنج أسماه : (الأسرار الشطرنجية المنتهكة من قبل سطاما) .

وفى رياضة الرماية هناك كتاباً لمؤلف مجهول بعنوان : (بغية الرامى وحياة المرامى) .

وكتب السخاوى كتاباً بعنوان : (القول التام فى الرمى والسهام) .

وكتب الطنبغا كتاب : (نزهة النفوس فى لعبة الدبوس) .

وكتاب (الباحة فى السباحة) لجلال الدين السيوطى .

وكتب إبن رسلان كتاباً كاملاً فى الفروسية بعنوان : (قطر السيل فى أمور الخيل وحذا حذوه إبن هذيل الأندلسى فجاء كتابه (حلية الفرسان وشعار الشجعان) مرجعاً يعتد به فى هذا المجال .

وكتب إبن لهيعة المصرى (الحلائب والجلائب) ذكر فيه كل حلبة فروسية أجريت فى عصور العرب قبل الإسلام أو فى العصر الإسلامى .
وكتاباً لمؤلف مجهول بعنوان (الدر المطابق أو علم السوابق) .
وكتب البجيرمى (رسالة أوصاف الخيل) وكتب إبن الكلبى (أسماء خيل العرب وفرسانها) .
والبخشى كتاب (الخيل) ، والدمشقى كتاب (الفروسية المحمدية) والصاحبى كتاب (الحلبة فى أسماء الخيل المشهورة فى الجاهلية والإسلام) .
وهناك كتاب (الخيل) للأصمعى ، وكتاب (أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها) لإبن الأعرابى الملقب بالأسود الغندجانى ، حيث ذكر فى كتابه نحو ٨٣٧ من الخيل ، ويعد هذا أكبر رقم جمعته مصادر الخيل فى عصره .
فمثلاً لم يزد ما أورده إبن سيده فى باب واسع ضمنه كتابه (المخصص) عن ٢١٨ من أسماء الخيل وأنسابها .
وكتاب (أنساب الخيل والإبل) لمؤلفه محمد بن حبيب .
وكتاب (آلات الجهاد وأدوات الصافنات الجياد) لسليمان المعرى .
وكتاب (النفحات المسكية فى صناعة الفروسية) لمؤلفه الحموى .
وكتاب (الإحتفال فى إستيفاء تصنيف ما للخيل من أحوال) للأندلسى وهو من أول ما كتب فيما يتعلق بالخيل من حيث ذكر أصولها وفرسانها وأخبارها .
كما جمع الحافظ شرف الدين الدمياطى فى كتابه (قطر السيل فى فضل الخيل) كثيراً من الأحاديث النبوية التى توصى بها خيراً .
وكتب محمد بن عيسى الحنفى كتاب: (نهاية السؤال والامنية فى تعلم الفروسية).
وكتاب : (الفروسية والمناصب الحربية) للحسن نجم الدين الرماح .
وقد بذل فيه مؤلفه عناية فائقة سواء فى تبويبه أو تزويده بالصور والرسومات التى توضح فنون الفروسية ومهاراتها والمسابقات التى تجرى فى عصره .
وقريب منه كتاب : (الفروسية) لمؤلفه بدر الدين الرماح ، وكتاب : (ثلاثة مذاهب خاصة بالفروسية والرمى) لمؤلفه جمشار الخوارزمى .
كما أطنب النويرى فى كتابه (نهاية الأرب) وإبن قتيبة فى كتاب (عيون الأخبار)

والأصفهانى فى كتابه (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) الحديث عن فضل الخيل وصفاتها وعيوبها .

كما خص أبو على القالى الخيل المنسوبة بباب فى كتابه (النوادر) .

أما الملك الأشرف عمر بن يوسف فسلط الضوء فى كتابه (الخيل) على البيطرة.

وعلى منواله نهج إبن رسول الغسانى فكتب : (كامل الصناعتين) .

كما أفرد الإمام ابن قيم الجوزية هو الآخر كتاباً كاملاً عن الفروسية فذهب فى ذلك مذهب أستاذه أحمد بن تيمية الذى دعا الشباب إلى تقوية أبدانهم بالرياضة .

ولقد أفرد إبن تيمية فصولاً فى كتاباته ضمنها كافة ألوان النشاط البدنى والرياضى الإسلامى بل خصص أجزاءً كاملة لشرح الأداء الفنى ومراحل تعليم بعض المهارات الفنية .

وتوسع الفلاسفة والاطباء فى معان الرياضة فقالوا : " أن الرياضة تكون مقصودة لذاتها يفرضهاالإشتغال بعمل من الأعمال الانسانية ، وقد تكون رياضة خاصة يقوم بها الإنسان قصد الانتفاع بها بدنياً وصحياً " .

والحديث يطول عند إبن خلدون عن الرياضة ومنافعها ، وكان مما ذكره : " أن الملكات اللسانية كلها إنما تكتسب بالصناعة والإرتياض " .

ومما قاله عن ترويض النفس عند أهل التصوف : " إختلفت طرق الرياضة عند المتصوفة بإختلاف تعليمهم فى إماتة القوى الحسية وتغذية الروح بالذكر حتى يحصل للنفس إدراكها " .

وفى كتاب (الإرشاد والتعليم) للمتصوفة ورد : " ومن عجب أن يفرح الناس بالأطفال قليلى الحركة البعيدين عن اللعب ويعتبرونهم عقلاء متزنين ،ويتوسموا فيهم الخير .

ولم يعلموا أن الاطفال الذين طبعوا على السكون وعدم الحركة لابد أن يكونوا مصابين بأمراض جسمية أو عقلية بحيث ينتهى أمرهم إلى ضعف الحياة وكدر العيش، إذا لم يؤخذوا منذ الصغر بالرياضة والحركة وبنية أجسامهم " .

وذكر الجاحظ فى مقدمة كتابه الحيوان قائلا : " هذا كتاب يحتاج إلى الريض للتعليم والدربة ، وللترتيب والرياضة وللتمرين وتمكين العادة " .

كما شدد إبن سينا فى كتابه (القانون فى الطب) على ممارسة الرياضة البدنية وجعلها جزءاً لا يتجزء من عقيدة المسلم ، فالرياضة : " حركة إرادية تضطر إلى التنفس العظيم المتواتر ، والموافق لإستعمالها على جهة إعتدالها فى وقتها به عناء عن كل علاج تقتضيه الأمراض المادية المزاجية " .

ويضيف قائلاً : " ولكل إنسان بحسبه رياضة ، ومنها رياضة خالصة

وهى التى نقصد لأنها رياضة فقط وتتحرى منها منافع الرياضة .

ولها فصول فإن من هذه الرياضة ما هو قليل ومنها ما هو كثير .

ومن هذه الرياضة ما هو قوى شديد ،ومنها ما هو ضعيف ومنها ما هو سريع وما هو بطيئ ".

ولم يترك إبن سينا الأمر خبط عشواء فيذهب إلى أن للشيوخ رياضة خاصة بهم تتفق وسنهم وأحوالهم الصحية فقال : " إذا كانت أبدانهم على غاية الإعتدال كانت الرياضات المعتدلة أوفق لهم .

وإذا كان الواحد منهم له عضو سقيم جعل رياضته تابعة لسائر الأعضاء الأخرى فى الحركة البدنية " .

والتدليك عند إبن سينا مراناً رياضياً رئيساً ، فيقول أنه : " فرع من الطب الرياضى وإلى تكثيف الأبدان المتخلخلة وتصليب الأبدان اللينة وخلخلة الكثيفة وتليين الصلبة .. " .

وكلام إبن سينا هذا هو ما ذهب إليه معاصره أبى حامد الغزالى ولكن من منظور تربوى ، فيشير إلى أن منع الصبى من اللعب وإرهاقه بالعلم يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش : " وينبغى أن يؤذن له بعد الإنصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب فى اللعب فإن منع

الصبى من اللعب وإرهاقه إلى التعلم يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأساً ".

كما يرى أن : " اللهو مروح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر ، والقلوب إذا كرهت عميت وترويحها إعانة لها على الجد ، فاللهو دواء القلب فى داء الإعياء والملال ، فينبغى أن يكون مباحاً ولكن لا ينبغى أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء وعلى نهجه دعا إبن مسكويه إلى أنه : " ينبغى أن يؤذن للطفل فى بعض الأوقات أن يلعب لعباً جميلاً ليستريح من تعب الأدب ولا يكون فى لعبه ألم ولا تعب شديد فالرياضة تحفظ الصحة وتنفى الكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتذكى النفس وتطرد البلادة ، وتبعث النشاط وتذكى النفس " .

أما أبو حيان التوحيدى فلا يرى من فائدة إلافى الرياضات الهادفة ، وهو قبل ذلك يوازن بين العقل وحركات الأعضاء أثناء ممارسة الرياضة فيقول : " العقل يستهجن البطالة ، ولابد من تحريك الأعضاء فى الجسم إما بقصد وإرادة وبضاعة ولأغراض مقصودة ، وإما بعبث ولهو وعند غفلة وسهو ، ولأجل ذلك نهت الشريعة عن الغفلة ، ونهى عن الكسل .. " .

وفى عصرنا الحديث إهتم الكتاب والأدباء العرب بالرياضة أيما إهتمام لدرجة ذهب فيها الراحل نجيب محفوظ بجعلها علماً من العلوم ونوعاً من الفنون ، فيقول لا مغالاة إذا ألحقنا الرياضة بالفنون الجميلة وبالتالى للعقل والروح ، وتفصح طريقتها عن بعض ما يملك الفرد من مهارة ورشاقة ، كما تكشف عن مضمون شخصيته النفسية والإجتماعية والأخلاقية ، ولكنها بخلاف الفنون واجب شامل يجب أن ينال كل فرد منها حظه فى الوقت المناسب خدمة لأجهزته الجسدية ورعاية لصحته ومتعة نقية لنفسه " .

وينبه الأديب الراحل على أنه يجب : " أن تكون الرياضة هدفك وفى مهارتها إشباعك ، وفى متابعتها متعتك بصرف النظر عن المكاسب والخسائر .. " .

وكتب محمود غنيم نشيداً للمعهد العالى للتربية الرياضية يقول فيه :

إلـى الأمام سر إلى الأمـام

أسـود بالتـدريب والنظـام

إلى الأمـام سر إلى الأمـام

نحن الرجال ننبت الرجالا
نحن الذين ننشئ الأجيالا
على يدينا نصنع الأبطالا
إنَا نربى للحمى أشبالا
كيما يصونوا حرمة الآجام
إلى الأمام سر إلى الأمام
نبنى العقول للحمى بناء
وبالنشاط نرهف الذكاء
ونغرس العزة والإباء
بالوثب والتمرين نغزو الداء
ونعلن الحرب على السقام
إلى الأمام سر إلى الأمام
سلاحنا رياضة الأبدان
دروعنا من قوة الإيمان
أخلاقنا متينة البنيان
باهى بنا يا أمة العربان
فنحن جند الحرب والسلام
إلى الأمام سر إلى الأمام

ولأميرالشعراء أحمد شوقى نشيد الكشافة جاء فيه :

نبتدر الخير ونستبق ما يرضي الخالق والخلق
بالنفس وخالقها نلق ونزيد وثوقاً فى المحن
فى السهل نرف رياحينا ونجوب الصخر شياطينا
نبنى الأبدان وتبنينا والهمة فى الجسم المرن

ونذكر بالمناسبة أن جان جاك روسو Jan Jak Rousseau (١٧١٢ . ١٧٧٨م .) كان أول كاتب أوروبى معروف أشار لأهمية الرياضة لبقاء الجسم سليماً ، وإن كانت دراسة الألعاب الرياضية دراسة جدية لم تبدأ إلا فى القرن التاسع عشر فى ألمانيا .

obeikandl.com

ولو تأملنا حركة المسلم أثناء الصلاة وهى تتشابه مع التمرينات الرياضية إذا تعمل على تنشيط النغمة العضلية التى من شأنها المحافظة على الحد الأدنى للياقة العضلية .

قصور البادية منشآت رياضية :

ولعل أقدم المنشآت الرياضية فى عهد الفتوحات قصور البادية التى أنشأها الخلفاء الأمويين .

وهى قصير عمرة الذى ينسب إلى الوليد بن عبدالملك والمشتى والحرانة وخربة المفجر والحلابات والطوية والصرح والحير الشرقى والحير الغربى الذى شيده فى تدمر هشام بن عبد الملك .

(الصيد : قصير عمرة)

(الصيد : قصر الحير الغربى)

(الصيد : قصر هشام)

وكانت تلك القصور مرابعاً للصيد والفروسية والتريض وساحات للصولجان والعدو والمبارزة .

مناظر للصيد على جدران قصور البادية :

وتعد صور قصر الحير الغربى أقدم أنموذج ما زال قائماً يوضح رياضة الصيد فى فنون العمارة الإسلامية .

فنشاهد فى هذا المنظر فارساً وقد أمسك بقوس وسهم ، وشد قوسه تجاه غزال ونشاهد على جدران قصير عمرة رسوماً مشغولة بطريقة (الفريسكو) Alfresco والتى تمثل مشاهد من رحلات الصيد والحيوانات ومنها الأسود والنمور والغزلان والنعام .

ومن مشاهد الصيد على جدرانه نرى أسداً واثباً على حمار وحشى كما نلمح على جدرانه مشهداً لمصارعين .

ومنظراً آخر لمصارعة بين أسد وغزال يذكرنا بالمشهد الموجود على جدران خربة المفجر.

النارود منشأة رياضية متكاملة :

أضف إلى ذلك المنشآت المخصصة للتدريب الرياضى وكان (النارود) وهو منشأة رياضية متكاملة للتدريب على إتقان مهارات الفروسية .

وكان عبارة عن ميدان دائرى به خطوط دائرية متداخلة تضيق كلما إتجهنا نحو مركز الدائرة وقد تصل سعته إلى ثمانين ذراعاً .

وتطور النارود فأنشأت دائرة متسعة القطر يلامس محيطها من الخارج دائرتان أصغر منها على كل جانب من الدائرة الكبرى .

وقد أعدتا للتدريب على حركات معينة فكان الفارس يتدرب على حركات غاية فى الصعوبة كملاحقة الجواد أثناء ركضه والوثوب فوقه أو التقاف الدروع والسيوف من فوق الأرض وهو ممتطى صهوة جواده المسرع .

فإذا فرغ من ذلك دخل على البرجاس وهو هدف خشبى عبارة عن سبع قطع خشبية مركبة بعضها فوق بعض حتى تطاول رأس الجواد وتنتهى من ذروته بحلقة معدنية تستخدم كمرمى يسدد عليه الفارس برمحه ثم يعرج الفارس على (القبق) ليسدد عليه بقوسه وسهمه .

الفروسية الأموية :

وكان سباق الخيل عند الامويين من أهم النشاطات الرياضية التى شجعها الأمراء وكانوا يستكثرون من الخيول ويتفننون فى تضميرها .

وأشهر من أولع من أمرائهم بسباق الخيل معاوية بن أبى سفيان ثم هشام بن عبدالملك الذى كان يبذل فى شراء الخيول أموالاً طائلة .

ويقال أنه أول من أقام حلبات لتحسين نتاج الخيول ، ففى إحدى الحلبات التى أجراها كان عدد الجياد التى إجتمعت نحو أربعة آلاف فرس .

وكان لعائشة بنت هشام خيل تسبق وكانت هى نفسها تركب الخيل وتشارك فى السباق .

ومن أمرائهم الذين أولعوا بسباق الخيول أيضاً وأقاموا حلبات الوليد بن عبدالملك فيذكر أنه أعد العدة لسباق عظيم تشترك فيه خيول الخلافة الإسلامية ولكنه مات

قبل أن يجرى السباق .

وقد إجتمع له فى الحلبة نحو ألف فرس وكان فرسه (السندى) جواد زمانه وكان يسابق به أيام هشام وكان يقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد وربما ضامه وربما جاء مصلياً .

ومن طرائف السباق فى هذا العصر أن يحدث سباقاً بين القرد والخيول فكان ليزيد بن عبدالملك قرداً يحضره ويطرح له متكئاً وكان يحمله على أتان وحشية بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء فى بعض الأيام فائزاً :

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت ضمان
إلا من رأى القرد الذى سبقت به جياد أمير المؤمنين أتان

الفروسية العباسية :

وتقدمت الفروسية وذاع صيتها على يد العباسيين ، فقد كان لهم ميادين واسعة يدربون فيها خيولهم وفيها يرسلونها إلى حلبة السباق ، كميايدين الكرخ والرصافة والرقة حيث كان هارون الرشيد يقضى فصل الصيف .

وبنى المأمون منظرة الحلبة فى بغداد ليجرى فيها السباق وعندما شيد الخليفة المعتصم مدينة سامراء سنة ٨٣٦ م وإتخذها عاصمة لملكه إعتنى عناية فائقة بإنشاء حلبات وميادين الفروسية وساحات لعب البولو ، فوصلت الفروسية أوج عظمتها فى عهده وعهد إبنه المتوكل .

وكان الخليفة المعتضد يمتحن جنوده فى البرجاس بالميدان الصغير فى قصره بحضور وزيره عبدالله بن سليمان وقائد جيشه بدرالمعتضدى والقواد وكتاب العطايا .

دار الخيل فى بغداد :

وأنشأ العباسيون فى بغداد دار الخيل وكانت واسعة الأرجاء لها ساحة واسعة نحو ألف ذراع من كل جانب كان يوقف فيها أثناء الأعياد وعند وفود رسل الملوك من شتى البلاد فى كل جانب منها خمسمائة فرس مطهمة بالذهب والفضة .

مناظر للفروسية العباسية :

وصور سامراء الجدارية تمثل صوراً مختلفة من الفروسية والصيد جنباً إلى جنب مع مجموعة من الطيور والحيوانات المزدانة بالأفرع النباتية فى شكل رسوم لولبية ودوائر .

وصورة محفوظة فى كتاب البيطرة لأحمد بن حسين الأحنف وهو محفوظ بمتحف (طوبقابى سراى) Topkapi Sarai بإسطنبول Istanbul حيث فارسين يركبان خيلين وإستطاع الرسام أن يبرز حركة الخيل وتلاحظ ذلك من حركة أقدامها .

تشجيع الدولة العباسية للفروسية :

وكان الوليد بن يزيد مغرماً بجمع الخيل وإقامة حلبة السباق ، وقد أجرى يوماً الخيل بالرصافة ، فلما طلعت الخيل شاهد الوليد فرسه (الوضاح) فى طليعة الكوكبة فقال :

خيلى ورب الكعبة المحرمة سبقنا أفراس الرجال اللومة
كما سبقناهم وحزنا المكرمة كذاك كنا فى الدهور القدمة

أهل العلا والرتب المعظمة

كما شجع هارون الرشيد إبنته البانوقة على ركوب الخيل ، وكانت تصحبه فى أسفاره وهى صبية .

ولم يكن مشاركة المرأة للرجال فى ضروب الرياضات بدعاً وليس أدل على ذلك من قول عمرو بن كلثوم عن تربية النساء على فنون الرياضة والفروسية :

إذا ما رحن يمشين الهوينى كما إضطربت متون الشا ربينا
يقدن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا

ويعد كتاب (الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور) مرجعاً مهماً للغاية فيمن إشتهر من النساء العربيات بممارسة أنواع الرياضات .

أشهر الفارسات العربيات :

ومن الفارسات العربيات أميمة إبنة قيس الغفارية وكان لها فضل فى معركة خيبر مع المسلمين .

وخولة بنت الأزور الكندى وهى أخت ضرار بن الأزور ، وكانت مشهورة بالفروسية ، وكانت فى مقدمة الجيش فى موقعة أجنادين مع خالد بن الوليد وعلى مقربة منه ترتدى زى الرجال ولفتت نظره بفروسيتها فسأل : من هذا الفارس المغوار ؟ وليلى

بنت طريف أخت الوليد بن طريف الشيبانى الخارجى الذى خرج على الطاعة فى خلافة الرشيد فما كان من القوم إلا أن شاهدوها وهى تلبس الدرع وتتقلد السيف تريد أخذ ثأر أخيها فأخذت تحمل على كل من تصدى لها إلا أن يزيد بن مزيدة الشيبانى من عشيرتها إعترضها وضرب بالرمح قطاة فرسها وقال : أغربى غرب الله عليك قد فضحت العشيرة .

فإستحيت منه وإنصرفت ، لكن الناس قالوا عنها : ليست هذه إلا أخت طريف فى الفروسية .

مهارة هارون الرشيد فى ألعاب الفروسية :

ونعود فنقول أن هارون الرشيد كان إلى جانب ذلك فارساً يحسن الصيد من فوق صهوة جواده .

وله فى الفروسية ألعاباً شتى كإصابة الأهداف وضرب الشواخص بسيفه وهو على ظهر فرسه منطلقاً بأقصى سرعة وكذلك التصويب بالسهام ، وله فى كل هذه الألعاب مسابقات يعقدها مع مشاهير قادته وأمراء الدولة .

وكانت له حقول وإصطبلات لتوليد عناق الخيل وتمرينها ، ولديه من جيادها عدد وافراً خصصت له الحقول والرياض الغناء .

وقد أجرى الرشيد يوماً السباق وكان له فرس يسمى (المشمر) سبق أفراس الفضل وجعفر بن يحى البرمكى ، وفى ذلك يقول أبوالعتاهية :

جاء المشمر والأفراس يقدمها هوناً على شرعة منها وما إنتهرا

وخلف الريح حرى وهى تتبعه ومر يختطف الابصار والنظرا

ويذكر الأصمعى أن هارون الرشيد ركب إلى الميدان لشهود الحلبة فقال : " دخلت لشهودها فيمن شهدها من خواص أمير المؤمنين والحلبة يومئذ أفراس للرشيد ولولديه الأمين والمأمون ولسليمان بن أبى جعفر المنصور ولعيسى بن جعفر فجاء فرس أدهم يقال له الربد للرشيد سابقاً فإبتهج إبتهاجاً علم ذلك فى وجهه " .

وشهد يزيد بن محمد بن مسلمة سباقاً للخيول فى الرقة فأنشد قائلاً :

شهدنا الرهان غداة الرهان بمجمعة ضمها الموسم

نقود إليها مقاد الجميع ونحن بصنعتها أقوم

ولما كان من شأنهم أن يمسحوا على وجه السابق قال جرير فى ذلك :

إذا شئتم أن تمسحوا وجه سابق جواد فمدوا فى الرهان عنانيا

وفى الجواد الفائق السرعة يقول جرير :

وقد قرنوا حين جد الرهان بسام إلى البلد الأبعد

يقطع بالجرى أنفاسهم بثنى العنان ولم يجهد

كيفية سباق الخيل :

أما عن كيفية سباق الخيل فكانت إشارة البدء تعطى عند الحبل المقام للإبتداء ، وكانت المسافة المحددة للسباق مخططة بخط مستقيم وتتصل بنطاق من الطوب لا يسمح بدخوله إلا لثمانية خيول .

وفى داخل هذا النطاق غرس سبعة أسهم فى الأرض تحمل كل منها الجائزة التى خصصت لكل من السبعة الفائزين بترتيب وصولهم .

وكان العرب فى سباقهم يرسلون خيولهم عشرة عشرة وعندهم أسماء لمراتبها فى السباق فقد ذكرإبن هذيل الأندلسى أن السوابق عشرة أولها السابق ثم المصلى ثم المسلى فالتالى والمرتاح والعاطف والحظى والمؤمل واللطيم وأخيراً السكيت ، وفى ذلك يقولون :

أن تبتد غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق فينا والمصلينا

ويعود يزيد بن محمد بن سلمة واصفاً الحلبة آنذاك فى الرقة ومعرضاً لمراتب السباق فيقول :

فجلى الأغر وصلى الكميت وسلى فلم يذمم الأدهم
وأردفها رابع تالياً وأين من المنجد المتهم
وما ذم مرتاحها خامساً وقد جاء يقدم ما يقدم
وسادسها العاطف المستحير يكاد لحيرته يحرم
وجاء الحظى لها سابعاً فأسهمه حظه المسهم
وجاء المؤمل فيها يخيب وغنى له الطائر الأشأم
وجاء اللطيم لها تاسعاً فمن كان ناحية يلطم
يخب السكيت على أثره وذفراه من قبة أعظم

ويستطرد إبن هذيل : " وكانت العرب تخاطر على سباق خيلها وتسمى ماتجعله للسوابق خصلاً ورهاناً وتضعه فى طرف الغاية التى إليها على رأس قصبة من قصب الرماح .

وهو قولهم فى المثل : " حاز قصب السبق " وإنما يعنون هذا .

وتسمى أيضاً الغاية المدى ، والأمد ، وتسمى موضع الجرى المضمار" .

مسافة سباق الخيل عند العرب :

وروى سعد بن أبى وقاص أن عمر بن الخطاب أمره أن يقيم حلبة السباق بالكوفة ففعل ، فأقبل فرسان يحتكان حتى وصلا خط النهاية فتنازع الناس فيهما وإستنجد سعد بن أبى وقاص بعمر فكتب إليه الأخير :" إذا سبقت الفرس بالرأس فقد سبق" وللعلم فإن .

هذا الإختلاف ما زال قائماً إلى اليوم ويعبر عنه فى الانجليزية Deod_Heat أى وصول فرسين معاً إلى نهاية السباق وعدم القدرة على تعيين الأسبق منهما .

كما أن إعتبار السبق بالرأس أو بالعنق أحياناً بقى مقياساً لتحديد المسافات بين الخيول الفائزة فيقال : Longueur أى طول .

وقد حدد العرب مسافة السباق تبعاً لسن الجواد ، فالبالغ عمره عامين أربعون غلوة أى حوالى ١٨٤٨ متراً .

والجواد البالغ عمره ثلاث سنوات ستون غلوة أى حوالى ٢٧٧٢ متراً .

والجواد البالغ عمره أربع سنوات ثمانون غلوة أى حوالى ٣٦٩٦ متراً .

إختلاف قياسات السباق :

وإختلفت المصادر الحديثة فى ضبط القياسات العربية القديمة ، بيد أن لويس مرسى L.Mercier يشير إلى أن الغلوة تساوى ١٨٧,٥ متراً .

فتكون المسافة التى ضبطها العرب فى السباق تتراوح بين ٧٥٠٠ متراً و١١٣٠٠ متراً و١٨٨٠٠ متراً .

أما المؤرخ محمد كامل علوى فيشير إلى أن الغلوة تساوى حوالى ٢٠٠ متراً .

فتكون بالتالى المسافات التى ضبطها العرب فى السباق تتراوح بين ٨٠٠٠ متراً و ١٢٠٠٠متراً و١٦٠٠٠ متراً .

وبالرغم أن مسافات السباق فى العصر الحاضر بإختلاف سن الفرس والعادات والبلد فأنها لن تتجاوز أبداً على أقل تقدير ٤١٠٠متراً .

فالسباق القصير يتراوح بين ١٢٠٠متراً و ١٦٠٠متراً .

والسباق المتوسط يتراوح بين ١٦٠٠ متراً و٢٤٠٠ متراً .

obeikandl.com

والسباق العادى يتراوح بين ٢٤٠٠ متراً و ٢٨٠٠ متراً ، وبين ٢٨٠٠ متراً و ٣٦٠٠ متراً .

والسباق الطويل يتراوح بين ٣٦٠٠ متراً و ٤١٠٠متراً .

لذلك نتفق مع كليمان مولى Clement Mullet حين يقول أن الغلوة تساوى ٤٦,٢٠ متراً لأن المسافات التى ضبطها العرب القدامى تراعى سن الخيول وهى تقارب إلى حد بعيد المسافات الموضوعة حالياً للسباق فى شتى أنحاء العالم فى .

حين أن المسافات التى حددها لويس مرسى Lewis Mercy وعلوى فيها شطط كبير للخيل ويضر بها .

سباق الخيل فى مصر الإسلامية :

وعن تاريخ سباق الخيل فى مصر فإن الكتابات لم تمدنا بالمعلومات الكافية عنها قبل عصر الدولة الطولونية .

لكن ما يؤكد وجودها قبل ذلك التاريخ أنه عندما تولى حكم مصر يزيد بن عبدالله التركى (٨٥٦ م .) وكان متشدداً عطل الرهان وأبطل السباق وأمر ببيع الخيل التى كانت تتخذ للسلطان .

أما فى العصر الطولونى كانت حلبة السباق بمثابة الأعياد لما كان يصحبها من إقامة معالم الزينة وركوب الخيل وحضور أمراء الدولة وقاداتها وعلمائها والعساكر على كثرتهم بالعدد الكاملة والأسلحة التامة .

وكان الناس يجلسون لمشاهدة السباق ، فإذا جاء وقت السباق أطلقت الخيل إلى غاياتها فتمر متفاوتة يقدم بعضها بعضاً حتى نهاية الشوط وسط تهليل الجمهور وإنبهارهم .

وقد بنى أحمد بن طولون مكاناً لعرض الخيل سماه (المنظر) ، وصفه القضاعى بقوله : " المنظر من عجائب الإسلام الأربعة التى منها هذا " .

وكان إبنه خمارويه يحب الفروسية فإستكثر من الخيول حتى ضاقت بها إصطبلاته ، وكان كما يذكر إبن إياس فى بدائع الزهور لها أنساب مثبتة فى الدواوين .

وإستمر لسباق الخيل نفس الأهمية فى عصر الإخشيد وجمع أعداداً من الخيول أجراها فى حلبة السباق وفى العصر الفاطمى أصبح عرض الخيل من مراسيم الخلافة ؛ كما عنوا بتسجيل أنسابها وأثبتوا ذلك فى جرائد مثبتة بالديوان .

وكان السلطان الظاهر بيبرس فى العصر المملوكى يأمر عساكره بركوب خيولهم إلى الميدان الأسود تحت القلعة للسباق وغيره من ألعاب الفروسية وكثيراً ما أقيمت سباقات الفروسية بين خواصه ومماليكه .

وربما يكون هذا التقليد إستمر حتى أيام السلطان المنصور قلاوون وإبنه الأشرف خليل حيث كان الأمراء والمماليك يتسابقون أمامهما .

وتذكر المصادر أن الأمير مهنا أهدى قلاوون فرساً شهباء للسباق وطلب ألا يركبها عند السباق إلا فارس من البدو ، فقادها هذا الفارس بغير سرج وهو يرتدى قميصاً وطاقية فقط ، وسبقت خيولهم .

وأثر عن السلطان الظاهر برقوق أنه عرض فى سنة ١٣٨٩ م خيل السباق وفرقها على الأمراء كما كانت العادة .

ولما شفى السلطان المؤيد شيخ ركب فرساً ومعه الأمراء والمماليك سنة ١٤١٩ م ووقف بهم تحت قبة النصر فأرسل أربعين فرساً إلى بركة الحاج ليجرى منها السباق .

obeikandl.com

سباق الخيل فى العصر المملوكى :

كما كان الأمراء يجرون السباق فى الفضاء الممتد فيما بين قبر الإمام الشافعى إلى باب القرافة طولاً وعرضاً وكان السباق يستمر أياماً .

وكانت مسافته مائة غلوة وهى خمسمائة ذراع وهو ما كان معروفاً قبلهم وكانت تقام فى الميادين أعمدة رخام تعرف بعواميد السباق بين كل عمودين مسافة محددة حيث تقف الخيل فى الميدان وتصف الحبل الذى يمد فى صدور الخيل لتكون متساوية وترص حوافرها كالمشط المنظوم ثم يرفع الحبل فتنطلق عشرة عشرة دفعة واحدة .

وكثيراً ما أقام سلاطين وأمراء المماليك سباقاً بين الهجن والخيل فى الميادين والأماكن الفسيحة مثل ميدان القبق وبركة الحاج وبركة الحبش .

وإلى ذلك العهد نطالع فى مخطوطة مقامات الحريرى نحو ٩٤ صورة قام برسمها المصور يحيى بن محمود الواسطى وأجملها صور قطيع الإبل وهى من محفوظات المكتبة الوطنية بباريس .

ديواناً لإصطبلات الخيل :

أما الناصر محمد بن قلاوون (١٢٩٣- ١٣٤١م) فهو أول من إتخذ ديواناً للأصطبل عمل له ناظراً وشهوداً وكتاباً لضبط أسماء الخيل وأوقات ورودها وأسماء أربابها ومبلغ ثمنها ومعرفة سواسها عرف بالركاب خانة .

وكان الأوجاقية المسمون جفتاوات هم الذين يقومون بخدمة هذه الخيول ، كما كان لأدوات الخيل أسواقاً خاصة يتزود بها خيالة المماليك .

وكان للأمير قطلوبغا حصان أدهم سبق خيل مصر كلها ثلاث سنوات متتالية .

وفى عهد السلطان برقوق إهتم بالسباق وكان له رغبة فى الخيل حتى مات عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر الف جمل وهجين .

مناظر للفروسية من العصر المملوكى :

والتراث الفنى العربى يحتفظ لنا بعدة صور لرياضة الفروسية من العصر المملوكى مثل تلك المجموعة من الأوراق التى عثر عليها فى الفيوم .

وهذه الأوراق محفوظة فى مجموعة الأرشيدون رنير Rainer بالمكتبة الأهلية فى فيينا وترجع إلى القرن ١٦ م .

ومن بينها صورة تمثل فارساً يمتطى صهوة جواده وهو فى حالة عدو سريع ، ويظهر الفارس بلحية وقبعة مخروطية الشكل ، ويمسك فى إحدى يديه ترس وفى الأخرى حربة رشيقة ، وكتب بجوار هذه الصورة (الفرس والصياد) .

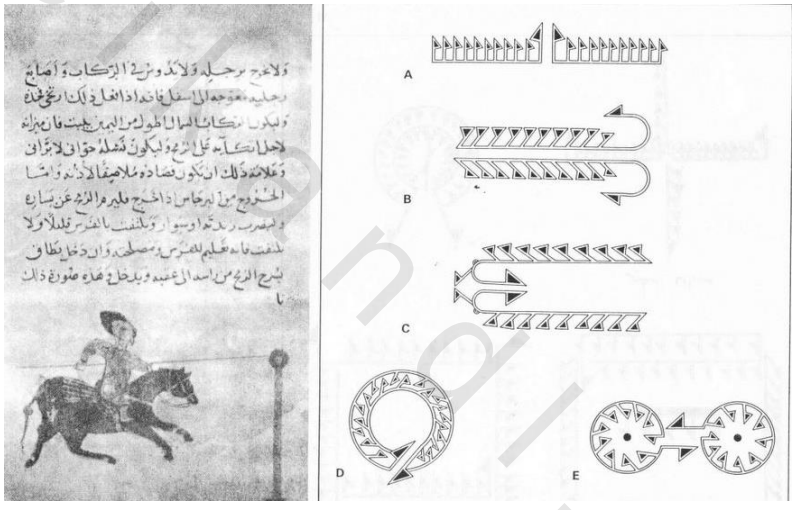

وصورة لفارس على جواد محجل ومعقود الذيل وبيده رمحين يلعب بهما ، ويلاحظ أن الفارس قد وضع على رأسه عمامة ذات لونين وأنه قد إرتدى قباء طويلاً مزركشاً .

كما عقد على وسطه حزاماً ووضع على أكمامه الطراز ، وقد إنتعل فى قدمه الموضوع على الركاب حذاءً طويلاً من الجلد وقد شد فوقه المهماز .

وصورة لفارس على جواد بوز أبيض وفى يده سيف وقد حرج عن سرجه ،

ويلاحظ أن الفارس قد إرتدى قبائين أحدهما أقصر من الآخر ويختلف عنه فى اللون ، وقد إنتعل حذاء برقبة طويلة من جلد أسود ، وقد شد فوقه المهماز . وصورة أخرى لفارس جعل ذبابة سيفه تحت إبطه الأيمن والقائم فى يده ، وقد إرتدى قباءً طويلاً ، وأنه وقع على عاتقه علاقة السيف .

وصورة عبارة عن فارسين يمتطيان صهوة جواديهما ويظهران فى حالة سباق حيث يبدو الحصان الأسود متقدماً عن منافسه الحصان الأبيض بخطوة .

وصورة مأخوذة عن مخطوطة الطبرى ، مجموع فى الرمح ، لفارسين ملتحيان يرميان القبق عن قوسيهما وقد وضعا على رأسيهما زمطين (الزمط ذو لون أحمر وله وبر طويل) .

ومن بين المخطوطات أيضاً التى صورت مناظر ألعاب الفروسية مختصر كتاب البيطرة لإبن الأحنف حيث صورة تمثل فارسين يتسابقان .

ومخطوط تعليم الفروسية ويشتمل على مناظر تبين كيفية اللعب بالميدان وكيفية دخول الفارس وخروجه وهو حامل سيفه ورمحه .

فيظهر أربعة من الفرسان يمتطون صهوات جيادهم ويحملون رماحهم فى أيديهم ويدورون حول الميدان وكل واحد من الفرسان فى حالة حذر شديد خوفاً من الوقوع فى أى خطأ .

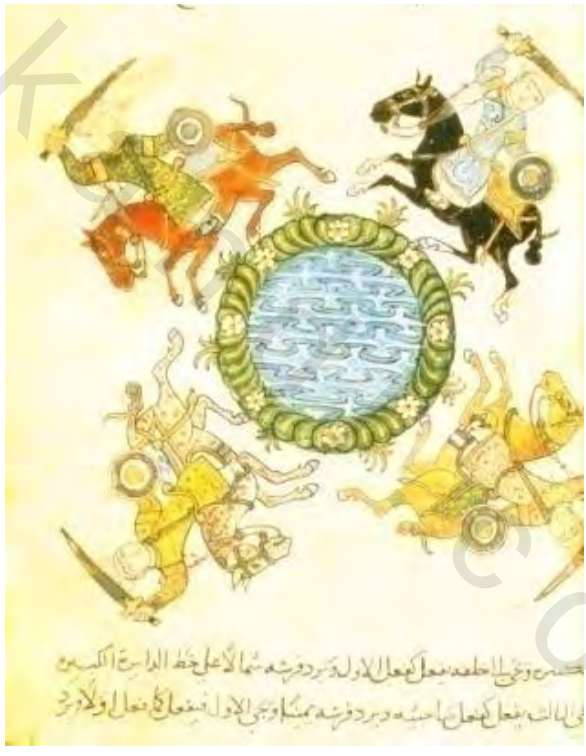

obeikandl.com

ومن نفس المخطوطة مختصر كتاب البيطرة صورة لفارس ركب مهراً ليرتاض به ويؤدبه .

ويلاحظ أن الفارس قد عقد شعره من خلف ودلاه فى كيس ، عرف فى العصر المملوكى بمصر والشام بالدبوقة ، وأنه إرتدى قباءً طويلاً ذا أكمام واسعة زودت بالطراز .

obeikan.com

الفروسية فى العصر العثمانى :

وفى العصر العثمانى كان الأمراء والجنود يجتمعون يومين فى الأسبوع بميدان واسع يسمى (المصطبة) ويصحبون معهم عبيدهم وخدمهم وكلهم يركبون الخيل مثل ساداتهم ويتدربون على الجريد .

طولها أربعة أقدام ومتوسطة السمك ويقذف بها منافسه أفقياً وبقوة شديدة ، والمهارة هنا أن يتفادى الغريم عصا غريمه أو أن يتلقاها باليد .

obeikan.com

EIGENTLICHE · CON
RAFACTVR · DES · ICZI ·
GEN · TVRCKISCHEN ·
KEISERS · MIT · NAMEN ·
SELIN · IST · DVRCH · E
INEN · MOLER · ABCON ·
TERFAET · WORDEN · M
T · NAMEN · ROCHVS · VON ·
CSIWEN · IST · ICZT · DVR
CH · GOTTES · SCHICKV ·
NG · LOS · KOMMEN · DEN
MAN · GIBT · AVF · NIEMAD
GROS · ACHTVNG · DER ·
GRAVSAMEN · TEVRVNG
HALBEN · DIE · INN · DE ·
R · TVRCKEI · ICZT · IST

الفروسية فى المغرب العربى :

وفى المغرب كان الفرسان الزناتة المعروفين بأنهم أفضل الفرسان سلاحهم المفضل الرمح ، أكثر خفة وأقصر من تلك التى يستخدمها باقى الفرسان .
كما أنهم يستعملون سيفاً وترساً من جلد نظراً لركوبهم على أحصنة ذات قوابض منخفضة لا تعيق حرية تحركهم .

الفروسية فى الأندلس :

أما فى الأندلس فقد إفتتنوا بالخيل وسباقاتها شأن كل العرب ، ففى وصف الشاعر الأندلسى جمال الخيل وسرعتها كما فى قول إبن زمرك الغرناطى :

تلك الجياد إذا تجرى سوابقها فللرياح جياد ما تجاريها
إذا إنبرت يوم سبق فى أعنتها ترى البروق ظلاماً لا تباريها

والشاعر إبن البقاء الرندى الذى وصف هو الآخر سرعة الخيل فى قوله

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها فى حجال السبق عقبان

ومنه أيضاً فى صف جمال الخيل وألوانها قول يحيى بن هذيل الأندلسى

وذو خضرة مقسومة شق بينها بياض كعرض السيف لم يتثلم

هوالصبح إلا أنه حان ليله فقسمه شطرين فى جلد أدهم

ووصف الشاعر الغرناطى إبن سعيد المغربى خيل لونه أصفر مع نجمة بيضاء فى جبهته بقوله :

وعسجدى اللون أعددته لساعة تظلم أنوارها

كأنه فى وهج شمعة مصفرة غرته نارها

أما لسان الدين بن الخطيب فقد أبدع أيما إبداع فى وصف جمال الخيل

وجاءتك كالأرام تختال فى الحلى جياد المذاكى والمحجلة الغر

وراد وشقر واضحات شياتها فأجسامها تبر وأرجلها در

ولن نفوت هذه المناسبة دون ذكر الوصف الرشيق لإبن السعدى ، فقد تفنن فى وصف فرس حمله عليه سيف الدولى فقال :

يا أيها الملك الذى أخلاقه من خلقه ورواؤه من رائه

أولاية وليتنا فبعثته رمحاً سبيب العرف عقد لوائه

فكأنما لطم الصباح جبينه فإقتص منه فخاض فى أحشائه

متمهلاً والبراق من أسماءه متبرقعاً والحسن من أكفانه

لا تعلق الألحاظ فى أعطافه إلا إذا كفكفت من غلوائه

مصارعة الثيران جزءاً من فروسية الأندلس

من ناحية أخرى يذكر بانابى كونراد Banabey Conrad فى كتابه Matador أن الفرسان العرب منذ إنتصارهم على القوط سنة ٧١١ م . إستخدموا الثيران فى الألعاب والمسابقات الرياضية ، وأن هؤلاء الفرسان كانوا يطاردون قطعان الثيران وهم يهمزونها كلما أدركوها .

ومما قاله S. P. Scott عن مصارعة الثيران عند عرب الأندلس فى كتابه (History of the Mooish Empyre In Europe) ما يلى : " وفى رياضات الفروسية التى تتطلب أعلى درجة من الحذق والرشاقة لم يتفوق أحد

على العرب فى إسبانيا .

وكانت أولى تسلياتهم التى تحمل هذا الوصف هى مصارعة الثيران التى لا نجد لها إلا القليل فى مشهد المصارعة المعاصرة التى تمثل نتيجتها الدموية والوحشية المستمرة الملمح الصارخ لها .

بينما اللاعبون العرب كانوا جميعهم من أصول أرستقراطية نبيلة ، وكانوا دائماً ركوباً بشكل رائع مدهش وكانت عدتهم بالغة الفخامة .

ولم يكن يسمح لهم بإستخدام أى سلاح سوى رمح قصير ثقيل رأسه مغلف بقطعة من الجلد .

وقد تطلبت قواعد هذه الرياضة بأن يقتل الثور بطعنة واحدة فى العمود الفقرى أمام الكتف مما يتطلب مهارة فائقة وقوة غير عادية .

obeikan.com

وإذا وقعت الضربة فى مكان آخر فإن الفارس يجبر على ترك الحلبة وإذا كسر سلاحه أو فقد فإنه كان ينظر إليه على إنه إقترف عاراً لا يمكن محوه .

وكان الذكاء وتدريب الفرس وبراعة راكبها هى الضمانات الكفيلة بعدم وقوع الكارثة ولكن تضحية الفارس فى بعض الأحيان كانت تذكر الباقين على قيد الحياة بالأخطار المخيفة للمواجهة .

ولكونهم مدربين منذ الطفولة المبكرة على ركوب الخيل وإستخدام الرماح ومعتادين جميع أنواع التمرينات ، ومهرة وخبراء فى فنون المباريات فإن عرب الأندلس وجدوا فى مصارعة الثيران ذروة الإستمتاع إلى جانب متعهم المادية والإثارة الناجمة عن الحروب .

ويمثل هذا التعليم ليس غريباً أنهم كانوا يتميزون بأرقى أنواع الفروسية فى أوروبا وجاء فى الموسوعة البريطانية Encyclopaedia Britannica art. Bullfighting,(1966.ed) " عدل العرب الذين إجتاحوا الأندلس بشكل تدريجى الألعاب الموجودة بأن أضافوا إليها المذاق الشرقى الرائع .

وبما أن العرب عرفوا الفروسية فإن كرامتهم إستدعت أن يأخذوا الرمح من تابعيهم بحيث يصبح هؤلاء التابعون أقل شأناً فى مصارعة الثيران فجعلوهم ببساطة ينازلون الثيران على الأقدام بحيث يغدو سادتهم الذين يمتطون الخيل قادرين على تأدية دورهم بصورة أفضل " .

لقد أسهم الإسبان فى تخليد أعداءهم الفرسان العرب فى الروايات الملحمية Romanceros Fronterizos .

وبعد مرور قرنين على ممارسة مصارعة الثيران فى الأندلس مدحها كورنيل Cornell فى مسرحيته (لوسيد) Lucid وقد كانت مسابقات مصارعة الثيران تقام فى الميادين العامة التى أخذت حلبات مصارعة الثيران أسماءها منها .

كما كانت تقام على ملعب رومانى قديم ، نتبين ذلك من قول لسان الدين بن الخطيب فى إحدى قصائده :

وقامت على منحوتة من زبرجد تخط على الصم الصلاب إذا تخطو

وكل عتيق من تماثل رومة تأنق فى إستخطاطه القس والقمط

ويستفيض إبن سعيد الأندلسى فى وصف هذا الملعب فى ثنايا كلامه عن حصن مربيطر المسماة الآن Sagunto Murviedro وحصون بلنسية Valencia فيقول : " هى من المدن الرومية المشهورة بالأندلس فيها آثار عظيمة وأعظمها الملعب الذى أمام قصرها وهو صنوبرى الشكل وقد إرتقى بأحكم صنعة درجة درجة إلى أن تكون الدرجة العليا لا يجلس فيها إلا الملك وحده ثم ما إنحدر منها إتسع المكان بحسب الطبقات إلى أن تكون الدرجة الأخرى للجمهور من يلوذ بالملوك من غير الخاصة المقربين " .

ويظن أن أول قشتالى طعن الثور برمحه من على ظهر فرسه هو Rodrigo Diaz de Vivar المعروف بالسيد الكمبيدور Ei . cid Campeador (١٠٤٣ . ١٠٩٩ م) .

رياضة ترفيهية تسبق مصارعة الثيران :

وكان يسبق المصارعة بين الفرسان والثيران رياضة ترفيهية يصارع فيها الثور الكلاب الرومية Bull Dogs وفيها يقول لسان الدين بن الخطيب مخاطباً

السلطان :

وطاردت الصوار بكل ضار كما إتبعت عفريتاً شهابا
ضربت به على الآذان منها فلم تسطع حراكا وإضطرابا
ومعصوب الجبين بتاج روق يروع خواره الأسد الغضابا
تعرف أن تحت الأرض ثوراً فرام بأن يشق له الترابا
وكلت به هضيم الكشح أجنى حديد الناب تحسبها حرابا
تباعد مجمع الشدقين منه وسال المأت بينهما لعابا
فأثبته كوحى الطرف حتى توثق منه جازرة غلابا
وصاح به الصوار وقد رآه حبيس الكلب قد منع الإيابا
فغضن الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فالكلاب الرومية الضخمة الجارحة تطلق على الثور فتتعلق بأذنيه وتهاجم جنبيه حتى تستثيره .

فينزل عند ذلك الفرسان لمصارعة الثور وقد إحتقن غضباً وأنهكه التعب فيتمكنون منه برماحهم .

يصور ذلك كله قصيدة ثانية للسان الدين الخطيب قالها فى مدح الغنى بالله وقدم لها بمقدمة ذات أهمية فى التعرف على جوانب من مصارعة الثيران فى غرناطة حيث يقول : " وقولى فى إمتداح سلطانى لما إحتفل لإعذار ولده وإستركب الفرسان لمزاملة الهدف الخشبى المتخذ فى الجو المسمى بالطبلة وأرسل جوارح الأكلب العظام المجتلبة من أرض ألان خلف فحول البقر الطاغية الشرس تمسكها من آذانها وأجنابها حتى تتمكن منه الرجال " .

وينقل المقرى صاحب (نفح الطيب) كلاماً مشابهاً للسان الدين الخطيب فى تصدير هذه القصيدة حيث يقول : " ولما إحتفل لإعذار ولده نظمت هذه القصيدة مساعدة لمن نظم من الأصحاب وتشتمل على أوصاف من ذكر الحلبة التى أرسلها والطبلة التى نصبها فى الهواء للفرسان يرسلون العصى إليها والثيران التى أرسل عليها الأكلب الرومية تمسكها فى صورة القرط من آذانها " .

أما القصيدة فهى :

وأغربت بالبهم العلاج تحفياً فلم يدخر الشيئ الغريب و السمط
أتت صورة معلولة عن مزاجها وأصل إختلاف الصورة المزج والخلط
قضيت بها دين الزمان ولم يزل أكد كذوب الوعد يلوى ويشتط
وأرسلت يوم السبق كل طمرة كما قذف الملمومة النار والنفط
رنت عن كحيل كالغزال إذا رنا وأوفت بهاد كالظليم إذ يعطو

إلى أن يقول :

وطاردت مقدام الصوار بجارح يصاب به من الصماخ أو الأبط
متين الشوا فى رأسه سمهرية مقصرة عنهن ما ينبت الخط
وقد كان ذا تاج فلما تعلقا بسامعتيه زانه منها قرط

وكانت النساء العربيات النبيلات ترسلن مع مأمورهن راية تحمل لونهن المفضل ليعلقها الفارس على رمحه ويصارع بها .

وتشير بعض النصوص إلى فارس ممسكاً مشملاً بيده اليسرى ويترجل للتغلب على الثور .

وفى القصائد التى تصف إحتفالات دولة بنى الأحمر فى غرناطة والتى كانت تجرى فيها مصارعة الثيران وصف لأعلامهم الحمراء التى يرفعونها فى أثناء الإحتفالات ولعل إستخدام قطعة القماش الحمراء فى أثناء مراوغة الثور تقترن باللون الرسمى لهذه الدولة .

ومن قصيدة لإبن زمرك الغرناطى أنشدها سنة ٧٦٤ م يصف فيها الألعاب الرياضية ويشير إلى اللون الأحمر المعتمد شعاراً لبنى الأحمر يقول فيها :

ولك القباب الحمر ترفع للندى فترى العمائم تحتها كالأنجم

وله من قصيدة فى إحدى الإعذاريات السلطانية :

أبديت من حسن الصنيع عجائباً تروى على مر الزمان وتنقل

خفقت به أعلامك الحمر التى بخفوقها النصر العزيز موكل

وله من قصيدة أخرى :

حيث القباب الحمر ترفع للقرى قد عام فى أرجائهن المندل

ويشير إبن الحاج النميرى هو الآخر فى مناسبة إعذارية إلى الرايات الحمر قائلاً

وليهن محمر البنود كأنها بدم الأعادى فى الحروب تضرج

ويصف بنى الأحمر فى قصيدة أخرى قائلاً :

لبسوا قميص البأس أحمر وإرتدوا بردائه والخيل ذات أقماص

ولعل هناك علاقة بين القبة الحمراء التى ذكرها كل من إبن زمرك الغرناطى وإبن الحاج النميرى والتى تقام إبان الإحتفالات وبين ما يعرف حالياً بإسم Bar Tera .

وهو سياج من خشب أحمر حول الحلبة التى تجرى بداخلها مصارعة الثيران .

وبعد أن أخرج العرب من الأندلس على يد فرديناند Ferdinand وإيزابيلا Isabella سنة ١٤٩٢م إستمرت مصارعة الثيران بتأثيراتها العربية وبواسطة الرماح الأرستقراطية .

شهادة الرحالة على فروسية العرب :

وفى القرن ١٩ م زار الرحالة الإيطالى كارلو جوامانى Carlos Joumani شبه جزيرة العرب ومن شهادته أن أهل عنيزة مشهورون بشراء الأمهار من البدو وتربيتها .

وقبيلة مطير كانت تمتلك أعداداً كبيرة من الخيل توردها إلى سوق بريدة ، وللخيل عندهم مرابط .

أما الرحالة البريطانى روجر أبتون Roger Upton فكتب مذكرات عن رحلته فى البحث عن الخيول العربية عرفت بـ Captain Uptton Memoris وله

كذلك كتاب مشاهدات فى بوادى العرب (Travels in Arabian Deserta) وفى هذا الكتاب كثيراً من أخبار الفرسان البوادى .

صور من شعر الحداء :

وعرف العرب نوعاً من تطريب الخيل وهو الحداء ، والقصائد من هذا النوع لها موسيقى مثيرة للشعور وتبعث النشوة فى النفوس ، وخاصة إذا لحنها الفرسان وهم يمتطون صهوات جيادهم أو على ظهور الإبل .

لذلك سمى من يطرب الإبل فى الأسفار (حادى العيس) ، وكثيراً ما يكون التلحين بصورة جماعية ينشدها بصوت عال صف عن اليمين وصف عن اليسار

ومن أمثلة ذلك حداء للملك عبدالعزيز آل سعود :

حنا إلى ركبنا عراب الخيل وتقاحص الفرسان قدام ورا
شهب عليها من ذياب الليل فرسان خيل ما تباع وتشترى

وله أيضاً :

الغوج رديته بتال الخيل يوم أدبحن الخيل بالفرسان
لعيون من ريحه زباد وهيل شامت عن الجاهل تبى الشيبان

ومن حداء للشيخ سالم الصباح :

قطعاننا ترعى الكحيل والخيل بالصمعا تدوس
لعيون من قرنه طويل نثنى إلى هاب النسوس

ومن حداءه :

يا ربعنا ضاع الجميل معروفنا كل نساه

وحداء للأمير محمد بن عبدالله آل رشيد فى معركة المليداء :

وأن أحمد الله طاب نومى والماء على كبدى قراح
من يوم شفت فعل قومى بأولاد على بالبياح
لومى على الدنيا ولومى على ربعى مروين الرماح

وأحدية لشيخ قبيلة عبيدة من قحطان فى فرسه :

صفرا جنايبها كل الغربان قد عقبت عقب الخليف ثنين
لا من رفعت الصوت لقحطان يا ويل منهم يطلبونه دين

ومن حداء لفارس من الرولة :

يابو خلا خيل وزميم والخد براق يلوح

ياما حلا قضب البريم والعمر صيوره يروح

وحداء لفارس من شمر :

ما ريد أنا ركب الذلول لو زينوا لى شدادها

أريد أنا حمرا شنوف حمرا سريع أوارها

وحداء للشيخة عمشا بنت ناصر الغالب :

من يقطع الفرجة على البعاج يصير للشيخة حليل

ما ريته رمحه يجى منعاج يقلط إلى هاب الذليل

وفى إحدى معارك نجد أحدية كانت تتغنى بها النساء خلف جحافل الجيش قائلات :

يا للى تمنى حربنا غويت يا غاوى الدليل

كم واحد من ضربنا دمه على الشلفا يسيل

ومن قبلهن نساء قريش فى معركة أحد كن يحدين :

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

الرسام الشعبى يصور الفروسية :

وفنون عدة أخرى تناولت فروسية العرب فهاهو الرسام الشعبى يصور أبو زيد الهلالى البطل المحورى للسيرة الهلالية يركب على ظهر جواده ويلبس رداءه الحربى مقاتلاً الهراس وخلفه إحدى نساء بنى هلال (الناعسة) فى هودجها تنثر عليه الزهور .

كذلك يصور دياب بن غانم على صهوة جواده وهو يقاتل أبا سعدى الزيناتى خليفة ويبدو المشهد حامى الوطيس تعبر عنه حركة الأبطال والجياد .

أما صور السلطان حسن فهى مثيرة أيضاً حين يبدو ممتطياً صهوة جواده الأسود يصارع وزير الملك هرقل .

وصور الزير سالم فى مواجهته لظلم الظالمين إذ يصور تارة على ظهر أسد رمزاً

obeikandl.com

للقوة وبإحدى يديه سيف وبالأخرى ترس وخلف ظهره جعبة من النبال يواجه جساس بن مرة ويطعن برمحه كلياً فى القصة المشهورة .

وتارة يصورعلى صهوة جواده يقاتل جساساً وكلياً مطعوناً برمح الأخير غدراً .

ويمثل على الزيبق فى التراث الشعبى عنواناً بارزاً للبطولة فى عصر المماليك ، تلك البطولة التى بدأت بفروسية السيف فى سيرة عنترة بن شداد وإنتهت بفروسية الذكاء والدهاء وسعة الحيلة فى سيرة على الزيبق .

الرماية وأنواعها فى العصور الإسلامية :

وأما رياضة الرماية فى العصر الإسلامى فهى على نوعين ، أولهما رماية القبق وثانيهما رماية البندق وقد إنتشرت رماية القبق فى شتى المدن العربية ، وفى الأقاليم المصرية بصفة خاصة .

وإن كانت لم ترد إشارات كثيرة عن تاريخها فى مصر قبل عصر المماليك التى

أصبحت فيه من الرياضات الشهيرة نظراً للطبيعة العسكرية التى إتصف بها هذا العصر .

لكن قد نستقصى من تاريخ إبن الفرات أن الناصر لدين الله كان يميل إلى رمى البندق والطيور المناسيب ولبس سراويل الفتوة وكان سائر ملوك الأطراف يسابقونه فى رمى البندق وفى الفتوة .

رماية القبق :

وقد ظهرت رماية القبق فى عدة صور تعود الصورة الأولى إلى العصر المملوكى وفيها يبدو فارسان متواجهان يعدوان بجواديهما حيث يحاول كل منهما إصابة الهدف عن إطلاق سهم من قوس فى يده .

وصورة ثانية يظهر فيها السلطان مراد الثانى وقد إمتطى صهوة جواده وإتخذ وضعاً مائلاً على فرسه وهى فى حالة عدو سريع وقد صوب سهامه نحو الهدف فى حين يظهر مجموعة من الجماهير فوق جيادهم واقفين على مقربة من الميدان .

فى نفس الوقت يلاحظ بعض الأشخاص القائمين على اللعبة وإعداد أدواتها يقفون على مقربة من الصارى المنصوب فوقه الهدف .

وتشير المصادر إلى أن تفصيل هذه اللعبة هو أن يجعل فى ميدان الرمى حبل معترض مرتفع على خشبتين ، ويكون مرور الرماة عند الرمى من تحت الحبل وفى بعض الأحيان كان يستعاض عن الحبل برسم دائرة إتساعها عشر باعات يكون القبق فى مركزها ثم يرمى الرماة إلى السماء لإصابته .

وزاد المقريزى فى وصفه فقال : " هو عبارة عن خشبة عالية جداً تنصب فى براح الأرض ويعمل بأعلاها دائرة من خشب وتقف الرماة بقسيها وترمى بالسهام جوف الدائرة كى تمر من داخلها إلى غرض هناك " .

ويفهم من قوله أن الرماة كان من الممكن أن يرموا وهم على الأرض أو على ظهور الخيل ، وكان الرامى يستخدم السهم العريض النصل المعروف بالطمار ، أما أطول الميادين للقبق فكان مائة وثلاثون ذراعاً .

ميادين لرماية القبق :

وشيد الظاهر بيبرس ميدان القبق وكثيراً ما كان يذهب إلى الميدان وأمامه جنائبه وشرط لكل أمير يصيب القبق فرساً من جنائبه بما عليه من التشاهير (الأشرطة التى توجد حول صدر الفرس) وخلعة لكل مملوكى أو جندى .

openkandl.com

ولم يكن ميدان القبق الموضع الوحيد لهذه الرياضة أيام الظاهر بيبرس فقيل أنه عمر الجامع الكبير بساحة الكحل وكان مكانه ساحة للعب القبق .

كما كانت تقام فى بعض الميادين وقت النزالات خيمة كبيرة للسلطان وخيام أخرى للإستراحة أو حتى قصور مثل التى كانت تحيط بميدان سرياقوس .

وفى مجال إظهار براعة الرماة كان الرامى يستلقى عل ظهره ويرمى يمنة ويسرى ، ومن أمراء المماليك البارعين فى تلك الرياضة بدر الدين بيسرى ، إذ أقترح له سرجاً وطيئ الرادفة جداً ثم سار صوب صارى القبق ، والعادة جارية أن الرامى لا يرميه إلا إذا صار بجانب الصارى .

إلا أن الأمير ساق فرسه إلى أن تعدى الصارى فإعتقد الناس أنه قد فاته الرمى ولكنه إستقر على ظهر فرسه حتى صار رأسه على كفل الفرس ورماه فأصاب الهدف .

رماية البندق :

أما رماية البندق فهى اللعب بكرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص ، وتطلق بالمزاريق وهى أنابيب ترسلها بضغط الهواء أو بالنشاب أو بالأقواس .

وقد عرفها العرب أواخر عهد عثمان بن عفان ثم صار من مراسيم جلساء الخلفاء أن يكون حولهم خدم بأيديهم قسى البندق يرمون بها الطيور والغربان حتى لا ينعق ناعق .

وكان رماة البندق فى العصر العباسى طائفة كبيرة يخرجون إلى ضواحى المدن يتسابقون فى رميه على الطير ونحوه ، وكان للرشيد فرقة يقال لها (النحل) تسير بين يديه .

ويصف إبن الرومى رماة عصره وهم يطلقون رماحهم فيقول :

لهم عدة تكفيهم كل عدة بنات المنايا والحنى الموتر
يزلون عن أكباد كل حنية خفاقاً مع الآجال تعلو وتقصر
نواه نواهم فى المنايا كأنهم مواقفها فيما يشاءون ويقدر
لها السن ما تستفيق لهاتها يكاد لعاب الموت منهن يقطر

وجاء فى كتاب (الأغانى لأبى فرج الأصفهانى) فى سبب موت الشاعر العباسى أبى العبر أنه خرج إلى الكوفة ليرمى بالبندق مع الرماة من أهلها فسمعه بعضهم يقول قولاً سيئاً فى على بن أبى طالب فأرداه قتيلاً .

وهناك لوحة من كتاب الأغانى محفوظة بالمكتبة الأهلية بإسطنبول تمثل بدر الدين لؤلؤ أتابك الموصل يمسك بيده سهماً .

أما فى العصر المملوكى فقد انشأت جماعة يرأسها السلطان كانت تسمى جماعة الفتوة ، وكانت تتدرب على رمى السهام والنبال والبندق .

وقد إستحدث السلطان المؤيد شيخ مكاناً بالقلعة عرف بمرمى النشاب .

وهناك لوحة لإثنين من الفرسان يتدربان على إصابة الهدف بإستخدام القوس والسهم ويلاحظ فيها أن أحد الرماة قد وقف على الأرض ووجه قوسه وسهمه تجاه الهدف المثبت إلى أعلى بينما الآخر يظهر وقد إمتطى صهوة جواده وشد قوسه وثبت سهمه وصوبه تجاه الهدف الآخر .

Plate VI

ومن الصور التى توضح إختبار أدوات الرماية صورة يظهر عليها رسم لرجلين يختبران قوة الأسلحة بحيث قام أحدهما بتعليق ثقل فى قوس ليجرب قوة إحتماله وهى من الأمور التى كانت تستخدم عند إعداد أدوات الرماية .

ومن النصوص الأدبية فى العصر المملوكى تلك النصوص المعروفة بـ

(رسائل الطير) .
ومنها رسائل تختص برمى البندق عرفت الرسالة الواحدة منها بإسم (قدمة) أى (قدمات البندق) .
وهى تصف الرمى بالبندق وأحوال الرماة وإصطلاحاتهم وأسماء الطيور وحركتها والمطاردة وأوقات الصيد الممتعة التى يقضيها الصيادون فى رحلاتهم

تطور الرماية فى العصر العثمانى :

وقد طور العثمانيون معدات متقدمة فى وقتها للرماية بالسهام ، فقد إستخدموا الأقواس المصفحة المصنوعة من الخشب وقرون الحيوانات والأوتار .
كما كانت أطراف أقواسهم تنحنى إلى الخارج كالأقواس الحديثة ذات التقوس المعاكس .
وكثيرة هى القصائد التى تشير إلى الرماية وأدواتها من ذلك قول أحد الشعراء مصوراً القوس كأنه كائن حى يفاخر بنفسه ويحكى مآثره :

أنا القوس الذى لاشك أنى أبيد الأسد فى الحرب الزبون
أنا أقضى على الأبطال قدماً وفى كبدى سهام المنون
سهام فوقت لى من كمين فويل للكماة من الكمين
إذا فوقت سهمى ليس يلقى بترس ولا درع حصين

ثم كيف أنها تتعامل مع طيور الصيد بغضبة لم تراع أنها كانت يوماً غصناً تلجأ إليه تلك الطيور الهاجعة فيقول الشاعر :

عجباً من القوس الكريمة إنها لم ترع حق حمائم الأغصان
عادت لها حتفاً وكانت مألفاً وكذاك حكم تصرف الأزمان

وقريب من هذا المعنى قول الزقاق :

نفسى الفداء لنبعة زوراء مشغوفة بمقاتل الأعداء
ألفت حمام الأيك وهى نضيرة واليوم تألفها بكسر الحاء

ولا يعادل السهام سلاحاً فى مجابهة العدو فى السرعة وفى العلو والنأى بعيداً فيقول الشاعر :

ذر الخطى يثنى معطفيه فإن لأسهمى فضلاً عليه

إذا كان العلا قتل الأعادى أيفضل غير أسرعنا إليه

وكذلك قول آخر :

سهامى نافذات فى الأعادى إذا الرامى أجاد به الرماية

أقيم بكفه ويصير سهمى إلى بعد ويدرك كل غاية

وليس الرمح يفعل مثل فعلى ولا السيف المهند فى الحماية

فخرت على السلاح بذا وفضلى إذا فكرت ليس له نهاية

ويروقنا أن نشير إلى لعبة مارسها هارون الرشيد وهى لعبة الحمام ، فقد كانوا يشدون فى أرجل الحمائم خيوطاً ذهبية ثم يرمون الخيوط فتنقطع وينطلق الحمام

رماية الطبلة فى الأندلس :

وعرفت الأندلس نوعاً غريباً من رياضات الرمى يسمى (الطبلة) ، وقد عثر على ثمانى مقطوعات شعرية لوصف هذه الرياضة وردت كل مقطوعة منها ضمن قصيدة مطولة فى وصف الإحتفالات التى كان يقيمها بنى الأحمر فى غرناطة . ويشكل الهدف أساس هذه الرياضة ، وهو هدف خشبى يجعل فى مكان مرتفع جداً فى الفضاء يسمى (الطبلة) .

فبعد أن يستأصل الهدف من سيقان الشجر محكمة الإلتفاف والتماسك ملساء اللحاء كانت تجعل على شكل إسطوانة ذات طول مناسب فيدبب رأسها ليساعدها على الإنطلاق عالياً فى الفضاء .

وكانت تجوف بحيث تبقى كالإسطوانة الفارغة أو كالطبلة ، وكانت الغاية من تجويفها لكى تخف حركتها فى الفضاء فتنطلق سريعاً ثم لتحط السهام فى جوفها تصيبها .

ويشير إبن زمرك إلى صلة الرحم بين الهدف (الطبلة) الذى يؤخذ من ساق الشجرة وبين السهام التى تؤخذ من الفروع الصغيرة وذات الرأس المعدنى المدبب والتى تطلق عليه :

تراوغها طوراً وطوراً تضيفها وبالأمس كانت بعض أغصان دوحها

فحملت إلى أوطانها وتسابقت فسام لأعلى مرتقاها ونازل

فنقلها عنها على الرغم ناقل تعاود مسراها بها وتواصل

ثم يعود فيصف السرعة الخاطفة لإنطلاقة الهدف وإلى شقه لعنان السماء لدرجة أنه يكاد يغيب عن الأبصار :

ومسافر فى الجو تحسب أنه يرقى إلى أوج السماء بسلم

ويقول :

وذاهبة فى الجو ملء عنانها يفوت إرتداد الطرف لمح عيانها

وقد لفعتها السحب برد عنانها وخدمت الجوزاء سبط بنانها

ويبدو أنه بعد إنطلاق الهدف فى الفضاء بهذه السرعة وهذا الإرتفاع يعود فيسبح فى الفضاء بشكل منساب ، وفى ذلك يقول عبدالله بن لسان الدين الخطيب :

وساقية العماد إذا أطلت إلى الأدواح تنساب إنسيابا

ثم تراه يشير إلى أن الرماة كانوا يطلقون السهام وهم ركوب على الخيل فيقول :

تحف بها خيول القوم منا فترسل نحوها الجرد العرابا

ولكن لا ينفى ذلك وجود رماة غير ركوب يطلقون سهامهم على الهدف ، غير أن إستعمال الخيل ربما للتمكن من إصابة الهدف الذى ينطلق بسرعة كبيرة لا تدركها إلا الخيل.

وكان السبيل لإبقاء الهدف سابحاً فى الفضاء دون هبوطه على الأرض هو الإستمرار فى إصابته بالسهام .

ومتى أخفقت السهام فى إصابته هبط على الأرض ليعلن خسارة الرماة فى تلك الجولة .

وفى أبيات للحاج النميرى يقسم النتيجة إلى ثلاثة أقسام : إصابة الهدف وكسره وبذلك يدخل السهم إلى جوف الهدف ويعد ذلك فوزاً كبيراً :

من الطبلات اللاء ما زال كسرها لدى البطل الأحمى يعد من الجبر

وإصابة الهدف دون كسره ودون دخول السهم فى جوفه ويعد ذلك نقطة لصالح الرامى لكنها ليست فى المستوى الأول :

وضاربها يوم الوفود عقوقه وإن كان لا يخفى يعد من البر

وأخيراً عدم كسر الهدف وعدم إصابته وفى هذه الحالة يبدو الهدف وكأنه يرزى

بالسهام التى ترمى عليه:

وأنحو عليها بالعصى كأنها بروق ولكن بالبروق غدت تزرى

المبارزة فى العصور الإسلامية :

أما المبارزة بالسيف والمطاعنة بالرمح فكانت من ألزم الرياضات عند العرب . كما كان الرقص بالسيف من أحب ضروب اللهو إلى نفوسهم ، وكانت النساء البدويات خاصة مغرمات به ولم يزلن يمارسنه فى الولائم والأفراح .

كما أغرم به أبو الطيب المتنبئ مفضلاً إياه عما سواه من الأسلحة ، قائلاً :

حقرت الردينيات حتى تركتها وحتى كأن السيف للرمح شاتم

وأشد غراماً به أبو تمام الطائى حين يقول فى فتح عمورية مادحاً الخليفة المعتصم بالله :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى متونهن جلاء الشك والريب

والعلم فى شهب الأرماح لامعة بين الخميسين لا فى السبعة الشهب

وأبدع إبن الرومى فى وصفه السيف فقال :

خير ما إستعصمت به الكف عضب ذكر حده أنيث المهز

ما تأملته بعينيك إلا أرعشت صفحتاه من غير هز

مثله أفزع الشجاع إلا الدرع فغالى به عن كل بز

ما يبالى أصممت شفرتاه فى محز أو جازتا عن محز

ويصف إبن المعتز سيفه فيقول :

ولى صارم فيه المنايا كوامن فما ينتضى إلا لسفك دماء

ترى فوق متنيه الفرند كأنه بقية غيم رق دون سماء

كذلك للرماح نصيب وافر من أشعار العرب ، فيقول أبى العلاء المعرى :

وذى ظمأ وليس به حياة تيقن طول حامله فطالا

توهم كل سابغة غديراً فرنق يطلب الحلق الدخالا

ملأت به صدوراً من أناس فلاقت عن ضغائنها إشتعالا

ويقول القاضى أبى القاسم :

openkanar.com

وأصم ممطول الكعوب إذا إقتضى مهج الكماة فدينه لا يمطل
لولا إلتهاب النصل أينع عوده مما يعل من الدماء وينهل
فأعجب له إن النجيع بطرفه رمد ولا يخفى عليه مقتل

وفى الركوب بالرماح قالوا :

مجن حكى صانعوه السماء لتقصر عنه طوال الرماح
وصاغوا مثال الثريا عليه كواكب تقضى لنا بالنجاح
وقد طوقوه بطوق اللجين كما جلل الأفق ضوء الصباح

المبارزة فى العصر المملوكى :

وظلت المبارزة تتقدم حتى بلغت أوجها فى عصر المماليك ، وكانوا ينقسمون إلى فرق ويخرجون للمبارزة والطعان .

ومن بين السلاطين الذين شغفوا بلعب الرمح السلطان الظاهر برقوق ، وكان الأمير آق سنقر الناصرى بارزاً فى اللعب بالرمح وأيضاً الأمير (قانى باى قرا الرماح) ، وعرف بهذا الإسم لبراعته الشديدة فى اللعب بالرمح .

ويحكى أن الظاهر برقوق ألزم مماليكه الجلبان فى ربيع الآخر سنة ١٣٧٦ م اللعب بالرمح ، فأشيع أنه قال لأحد المماليك إطعنى ، فطعنه فى جفن عينه الأعلى .

obeikandl.com

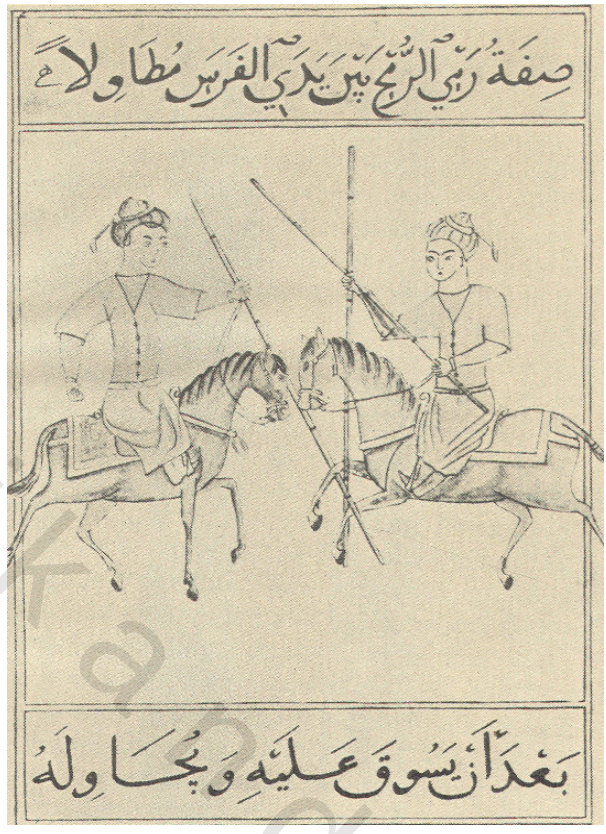

وذكر المقريزى عن السلطان الظاهر بيبرس أنه : " حث جميع الناس على رمى النشاب ولعب الرمح وبخاصة مماليكه ونزل إلى الفضاء بباب النصر وبنى مصطبة هناك وأقام ينزل كل يوم من الظهر وهو واقف فى الشمس يرمى ويحرض الناس على الرمى والرهان حتى صارت تلك الأماكن لا تسع الناس وما بقى لأحد إلا لعب الرمح ورمى النشاب " .

وبعد أن عقد الظاهر بيبرس الهدنة مع الفرنجة وهو فى الشام خرج أهل عكا لمشاهدة جنوده فركب الظاهر بيبرس فرسه ولعب هو وجميع جنوده بالرماح .

وقد إعتاد السلطان الأشرف قايتباى أن يمتحن بعض المماليك ففى صفر من سنة ١٤٧٣م أمرهم أن يلعبوا بالرمح بين يديه حتى يمتحنهم ، فلاقوا عنتاً ومشقة ، ووبخ جماعة منهم بالكلام .

ومما يذكر أنه سنة ١٥٠٨ م بنى السلطان الغورى ثلاثة صهاريج تمتلئ بماء النيل ليشرب منها مماليكه الذين يلعبون الرمح فى الميدان .

وأصبح تعليم الطعن بالرمح من ضمن الإعداد العسكرى للمماليك فى المدارس الحربية (الطباق) .

فعند بلوغ المملوكى كان ينتقل من التعليم الدينى إلى التعليم العسكرى ومنه بالطبع الطعن بالرماح .

ويذكر إبن تغرى بردى أن مماليك السلطان قلاوون لعبوا بالرماح فى سوق المحمل ، وفضل عليهم مماليك السلطان برقوق فى هذا الفن لأنهم أحدثوا فيه أشياء جديدة .

فقد كان تغييراً ما يحدث فى طرق اللعب بالرمح كل فترة مثلما حدث مع مماليك قنصوه الغورى حين خرجوا للعب الرمح سنة ١٥٠٤ م فعيبهم المماليك القرانصة كما يروى إبن إياس وخطأوهم فى طريقة اللعب التى إعتبروها تقليدية لا تواكب جديد اللعب .

تطور الرمح فى العصر المملوكى :

فعلى سبيل المثال تطور الرمح فى القرن ١٣ م فصنع رمح ذو سنان نشاب ينطلق لوحده بإتجاه الخصم بمجرد أن يكبس حامله على زر معين فى قناة الرمح كما أدخلت تحسينات عليه فقد جعل سلاحاً لرمى السهام إلى جانب إستخدامه للطعن عادة وجوف من الداخل حيث وضعت السهام .

ويحتوى المتحف الحربى بالقلعة فى القاهرة على حربة من العصر المملوكى مدببة الطرف .

ويوجد بالمتحف الوطنى فى دمشق حربة من الحديد مكفتة بالذهب ترجع إلى القرن ١٣ م بالإضافة إلى حربة أخرى وجدت فى دمشق ترجع للقرن ١٦ م .

ويذكر ابن تغرى بردى فى موضع آخر وصف إحتفال السلطان مؤيد شيخ بسوق محمل كسوة الكعبة بساحة بولاق حيث لعب المماليك بالرمح .

وكذلك لعب المعلمون فبلغ من إرتياح السلطان أنه أمر بإقامة حفل للعب الرمح كل أسبوع ، فيلعب معلمان هما وصبيانهما مخاصمة رياضية فيقف المعلم يميناً

وإلى جانبه صبيانه صفاً واحداً ويقف تجاههم معلم آخر وصبيانه .
ويبلغ عدد كل فريق خمسة أفراد فيخرج المعلم للمطاعنة ثم يخرج نائب المعلم لنائب المعلم الذى يقابله ثم يخرج سائر أفراد الفريقين للمطاعنة الفردية .
ويستمر اللعب من الظهر إلى العصر فى الغالب والناس يشاهدونه ويرفعون عقائرهم تشجعياً لهذا أو لذاك .
وحين حل قرقد بك بن عثمان ضيفاً على قانصوه الغورى رسم السلطان للرماحة الذين يسوقوا فى المحمل بأن يركبوا خيولهم إلى الميدان ليتفرج عليهم إبن عثمان وهم لابسون آلة السلاح .
وتكرر ذلك مع الضيف أياماً متوالية وكان يشاهد فى كل مرة منافسة فى لعب الرمح .

مناظر للطعان بالرمح :

ومن بين اللوحات التى صورت الطعان صورة تمثل فارسان يركبان جواديهما معقودى الذيل وهما يتدربان فى وضع المواجهة ويمسك كل منهما بحربة وترس وتعود للقرن ١٥ م .

رياضة التحطيب :

أما رياضة التحطيب فكان يحكمها نظاما خاصا ، فالأدوات المستخدمة كانت عبارة عن العصى المستخدمة فى المبارزة .

وغالباً ما كانت من شجرة اللبخ أو من الخيزران بطول ١٧٠ سم إلى ١٨٠ سم وسمكها ٤ سم إلى ٥ سم .

وقد أصبح التحطيب شائعاً فى العصر الفاطمى يظهر ذلك جلياً من خلال منظراً مصوراً على الخزف ذى البريق .

ويظهر فيه رجلين يمارسان رياضة التحطيب والملاحظ أن كلا الرجلين يظهران بدون غطاء الرأس أما ملابسهما فواسعة فضفاضة حتى تسمح لهما بحرية الحركة .

وإنتشرت رياضة التحطيب بين أهل المدن والقرى فى العصر المملوكى ومارسها السلطان بيبرس ، وكان كثيراً ما يذهب إلى بلدة سرياقوس لحضور النزالات بين الأهالى .

صفة إقامة الجلوس على الركب
صفة الصورة معه والضرب عليه فيها
وحكم مقادم السيوف ووزنها

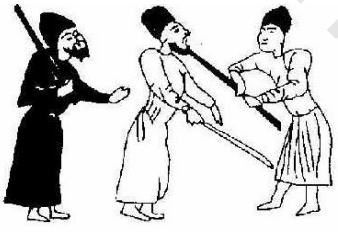

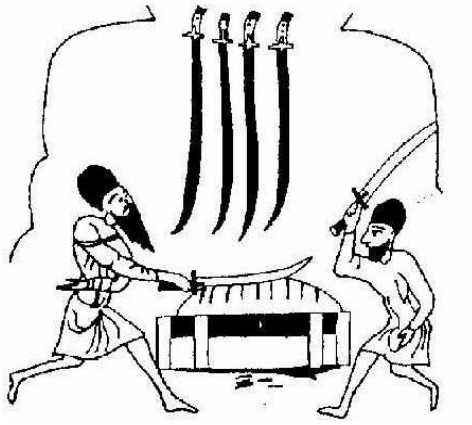

ومن العصر المملوكى ذكر الشعرانى فى طبقاته الكبرى فى ترجمة عثمان ما نصه : " وكان شجاعاً يلعب باللبخة فيخرج له عشرة من الشطار ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها ويرد بضرب الجميع فلا تصيبه واحدة " .

مناظر للتحطيب من العصر المملوكى :

ويظهر منظراً لرياضة التحطيب على ألواح مارستان قلاوون الخشبية حيث رجلين يمسك كل منهما بعصى فى يده اليمنى وترساً فى يده اليسرى .

كما صورت على الورق من ذلك منظراً للتحطيب من مخطوط فى ألعاب الفروسية عبارة عن رجلين يحطبان ويقف بجوارهما ثالث ممسكاً بعصى طويلة ويرتدى عمامة تختلف عن عمامتى اللاعبين ويراقب سير المباراة وعصاه مميزة عن بقية العصى الموجودة بالصورة ، ولعله حكم المباراة أو المدرب حيث يقف بالقرب من المحطبين.

وهناك صورة تمثل رياضة التحطيب من فوق ظهور الخيول وتنقسم هذه الصورة إلى قسمين علوى وفيه يظهر فارسان يمتطيان صهوتى جواديهما ويحطبان ويظهر أيضاً الجوادان وكأنهما فى حالة مبارزة .

وقسم سفلى وفيه يظهر أحد الفرسان وهو فى حالة مواجهة بينما إستدار الآخر للخلف وأمسك بعصى التحطيب .

obeikandl.com

وكان المحطبان يرتديان ما يشبه الدروع على الذراعين وعلى الصدر ، وتظهر أغطية رأسيهما وكأنها خوذ مصنوعة من المعدن حتى تقى الرأس من ضربات العصى .

ولم تختلف ممارسة رياضة التحطيب فى هذا الزمان عنها فى الماضى ، فتتمثل فى أن يتبارز رجلان بيد كل منهما عصا يضرب ويتلقى بها الضربات فتكون سلاحه وترسه فإذا شرعا فى اللعب كانت غاية كل واحد منهما أن يصيب ولا يصاب .

ويظلان فى صراع حتى إذا ما سنحت لأحدهما فرصة من خصمه فأنه يصيبه إصابة يسمونها (الكشف) ويقولون قد كشفه وعندئذ لايكون أمام المصاب إلا أن يقابل هذه الضربة بضربة أقوى منها يسمونها (الغطا) فإن أصابه تعادلا وإلا رد المكشوف مغلوباً .

أشكال من رياضة التحطيب :

وفى كثير من الأقطار العربية تمتزج رياضة التحطيب بالمزمار والرقص .
ففى المملكة العربية السعودية كان الناس وما يزالون يقومون فى حلقة تتوسطها كومة من النار وفى أحد جوانبها يتناوب اللاعبون على دق الدفوف ، وينزل لاعبان بالعصى حول النار يتراقصان ويمكثان هكذا عدة دقائق وينزل إثنان آخران بعدهما ويتناوب اللاعبون ، وكل نزلة تسمى (الجوش) .
وهناك نوع من رياضة التحطيب لدى سكان مراكش هو عند الجبلية من قبيل المبارزة الفنية وهو رقصة السيف .
ولقد وصف (أوجست موليراس) Augste Moulieras قفزات السيف لدى الجبلية فى مراكش وأكد أن المبارزين كثيراً ما يجرح أحدهما الآخر .
وهناك نوع آخر من هذا القبيل يقوم فى مراكش أيضاً على إعتبار أنه أحد الألعاب وهو الركلة أو الرفسة ، وهى لفظة لا تطلق عادة إلا فى حالة إستعمال قدم واحدة كما تفعل الدابة عند الرفس بقدمها فجأة وبدون سابق إنذار .
وتقوم الجبلية بلعبة الركلة تحت إسم (الرحبة) وكذا أهالى مدينة سوسة . وفى هذه اللعبة لا يلبس المتباريان عادة سوى السروال ويحاولان الإقتراب أحدهما من الآخر والإلتفاف للوصول إلى وضع يمكنهما من الوقوف على رجل واحدة وتوجيه الأخرى بسرعة لتضرب غريمها على جانبه أو ظهره . ولما كانت الرجل دائماً عارية كان طبيعياً أن تكون الضربة بالسطح الخارجى للقدم أوالساق وليس من الخلف للأمام ، والغرض ليس الإيذاء وانما مجرد تسجيل أكبر عدد من النقاط وتظهر رقصة السيف فى سورية على حقيقتها التى تعود إلى العصورالوسطى ، ويقوم بها شخصان يمسك كل منهما بسيف عربى بشكل عارضة متوسطة الإتساع ذات حافة مستديرة غير حادة .
وتبدأ المباراة بدورات بديعة فى جميع الإتجاهات ثم يتباعد الخصمان ويتقاربان ويحاول كل منهما الإلتفاف بالآخر بقفزات خفيفة ويصوب نحو رأس الآخر ضربات عالية يتجنبها بالسيف أو بالدرع وتتوقف هذه القفزات كلما لمس أحدهما الآخر .
وكثيراً ما تعرضت أدبيات العرب لرياضة التحطيب ولعل أشهرها ما ورد فى السيرة

الهلالية من النزال الشهير بين منازع وأبو زيد الهلالى ، وإنتصار أبوزيد فى البرجاس وإسقاطه عمامة منازع .

البولو فى مصر :

وعن لعبة البولو يذكر المقريزى إنها كانت من عجائب مصر فيقول : " أن من عجائب مصر والإسكندرية وما بها من العجائب المنارة والسوارى والملعب الذى كانوا يجتمعون به فى يوم من السنة ثم يرمون بالكرة " .

ثم يشرح طريقة لعب البولو من خلال وصفه لأحد الأعياد بالإسكندرية حين دخلها عمرو بن العاص سنة ٦٤١ م فيرد فى النص : ".. وقد وافق دخول عمرو بن العاص الإسكندرية عيداً فيها عظيماً يجتمع فيه ملوكهم وأشرافهم ولهم كرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم " .

البولو فى الحجاز :

ونستنتج من هذا النص أن البولو كانت تمارس بين عرب وادى النيل خلال العصر البيزنطى قبيل الفتح الإسلامى .

كما كانت تمارس فى نفس الوقت عند عرب الحجاز وكان من النابغين فيها الشاعر عدى بن زيد .

نعم كانت معروفة لدى أهل الحجاز قبل ظهور الإسلام ومع مطلعه فيذكر الحارثة بن نافع بأنه كان يلاعب الحسن والحسين بالكرة .

البولو فى الأدب العربى :

ويطيب لنا أن نتوقف عند كتاب (ألف ليلة وليلة) حيث حكاية على لسان شهرزاد تدور أحداثها عن الملك يونان فى أرض الروم ، وكان يشكو من البرص ، وكان قد دخل مدينته حكيم طاعن فى السن عارفاً باللغة العربية يقال له الحكيم رويان .

وأقام بها أياماً قلائل فسمع خبر الملك وعجز الأطباء عن مداواته ، فبات من

obeikandl.com

ليلته مشغولاً فلما أصبح دخل على الملك وعرض عليه مداواته .
وإكترى رويان بيتاً حط فيه كتبه وأدويته وعقاقيره ثم إستخرج الأدوية والعقاقير وجعل منها صولجاناً وجوفه وعمل له قصبة وصنع له كرة .
وطلع على الملك فى اليوم التالى ونصحه أن يركب إلى الميدان وأن يلعب بالكرة والصولجان وكان معه الأمراء والوزراء وأرباب الدولة .
فما إستقر بين الجلوس فى الميدان حتى دخل عليه الحكيم رويان وناوله الصولجان وقال له : خذ هذا الصولجان وإقبض عليه وإمش فى الميدان وإضرب به الكرة بقوتك حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسرى فى سائر جسدك ، فإذا عرقت وأثر الدواء فيك فإرجع إلى قصرك وأدخل الحمام وإغتسل فقد برئت .
عند ذلك أخذ الملك الصولجان وركب جواده وساقه خلف الكرة حتى لحقها وضربها بقوة وهو قابض بكفه على قصبة الصولجان ، وما زال يضرب به الكرة حتى عرق كفه وسائر بدنه وسرى له الدواء من القبضة .
وهذا هو الشائع عن رياضة البولو _ أعنى أن كثيرين تحدث عن فوائدها الصحية من ذلك ما أورده إبن النفيس فى (الموجز فى الطب) حيث يقول : " اللعب بالصولجان رياضة للبدن والنفس لما يلزم من الفرح بالغلبة والغضب بالانقهار " وأورده بتوسع أكبر الحسن بن عبدالله فى (آثار الأول فى ترتيب الدول) حيث يقول : " اللعب بالكرة هو رياضة حسنة تامة وصفها الحكماء والفضلاء من الملوك لرياضة الجسد ورياضة الخيل ، واللعب بالكرة والجوكان وإستعمالها بالغدوات من أتم الرياضات وأكملها وأنفعها ، لأن من الرياضات ما يختص بأنواع البدن مثل الصراع وحمل الأثقال وهذه تعم البدن جميعه وهو يتحرك لها حركات مختلفة ، والبصر يتبعها والرأس تلتفت إليها والأصوات والصيحات ترتفع فيها ، والخيل ترتاض وتلين رؤوسها للجوال والكر والفر ، ومنها تحريك العدة النفسية لما فيها من طلب المغالبة " .
أما عن المزاياالنفسية التى تعود على لاعب البولو فيقول : " ومن تلك المزايا السرور والفرح والظفر والإستيلاء مع مباشرة التألم من العجز والغلبة .

ومنها تعود الإجتماع والتدريب ومساعدة الأصحاب لبعضها وتعاضد الأولياء وتعاونهم على الخصم " .

ثم ان للبولو فى رأيه قواعدها الصحية التى على اللاعب أن يراعيها فى نفسه فيقول : " من القواعد الصحية لتلك اللعبة أن يلتزم اللاعبون فى لعبتهم حد الإعتدال فيتجنبوا تحميل الجسم ما يفوق طاقته ، وأن يباشروا اللعب فى أجواء مناسبة ، وأن يتحاشوا اللعب عند إمتلاء المعدة بالطعام " .

وأشار إبن تيمية إلى البولو فقال : " أنها لعبة حسنة إذ كان المقصود منها المنفعة للخيل والرجال ، بحيث يستعان بها على الكر والفر والدخول والخروج ونحوه فى الجهاد وبغرض الإستعانة على الجهاد الذى أمر به النبى .

أما إذا كان فى ذلك مضرة بالخيل والرجال فإنه ينهى عنه " .

وقال السبكى من العصر المملوكى بأن : " مايعتاده الأمراء فى الزمان من لعب الكرة فى الميدان حلال وينبغى أن يقصدوا به تعليم الخيل والإقبال والإدبار والكر والفر " .

وفى العصر العباسى شغف برياضة البولو هارون الرشيد وكان يلعبها بالرغم من قصر قامته حتى أن عصاه لم تكن تدرك الكرة ، وكان يلعبها فى الميدان بالقرب من قصر الخلد .

ومما يحكى أن جعفر البرمكى كان ينضم دائماً إلى فريق الرشيد ولا يلعب ضده فقال له الرشيد يوماً : كن يا جعفر مع الفرقة المقابلة لتتزن القوى بيننا .

فرفض جعفر وقال : لا أكون ضد أمير المؤمنين فى جد ولا لعب ، فأعجب بقوله ولشدة شغف الرشيد باللعبة صنع صولجاناً من الخيزران ورأسه من الذهب الخالص .

ولكن كان الصولجان يصنع فى الغالب من عود الخلاف (الصفصاف) كما يشير العباس بن الأحنف والذى إستعمل كلمة فريق لكل جماعة من اللاعبين :

إذا وقعوها بعود الخلاف رفعنا جميعاً إليهم العيونا

وصرنا فريقين فى مجمع فأحسن بهن قريناً قرينا

أما الشاعر (كشاجم) فقال عن ملعب الصولجان :

وملعب للخيل فى قراح منفسح الأرجاء والنواحى

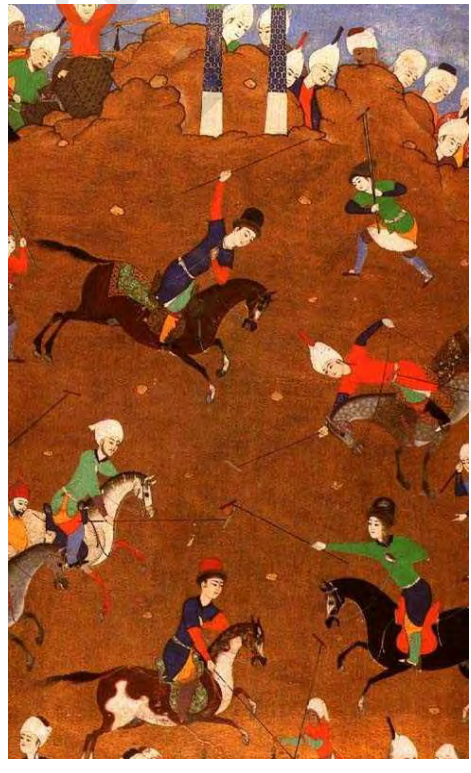

obeikan.com

كذلك لعبها الخليفة المعتصم ، وكان فى حاضرة الدولة العباسية ميداناً يسمى بميدان (الصوالجة) .

وبلغ من شغف العباسيين باللعبة بأن أمر الخليفة الأمين محمد فى ثانى يوم لخلافته بإنشاء ملعب للبولو بجوار قصر أبى جعفر المنصور .

فقد روى الطبرى فى تاريخه قائلاً : " لما أفضت الخلافة إلى محمد وهدأ الناس ببغداد أصبح صبيحة السبت بعد بيعته بيوم فأمر ببناء ميدان حول قصر أبى جعفر فى المدينة للصوالجة واللعب " .

وفيه يقول الشاعر :

بنى أمين الله ميداناً وصير الساحة بستانا

وكانت الغزلان فيه لنا يهدى إليه فيه غزلانا

كما كان بمدينة سامراء ميداناً فسيحاً مشابهاً للميدان الموجود فى حاضرة الدولة العباسية أنشأ خصيصاً لممارسة البولو بل أن الوزير عبدالله بن يحيى بن خاقان أنشأ ميداناً للعبة فى قصره .

البولو فى العصر الطولونى :

ولعل نشأة أحمد بن طولون بتلك المدينة هو مادفعه لإنشاء ميدان مشابه بمدينة القطائع حاضرة ملكه يلعب فيه البولو هو ورجال بلاطه فورد فى خطط المقريزى : " وبنى أحمد بن طولون قصره ووسعه وحسنه وجعل له ميداناً كبيراً يضرب فيه الصوالجة فسمى القصر كله الميدان ".

وكان هذا الميدان يعرف بميدان إبن طولون ، وكان كل من أراد الخروج من صغير أو كبير إذا سئل عن ذهابه يقول إلى الميدان .

وعمل للميدان أبواباً لكل باب إسم وهى باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش ، وباب الصوالجة ، وباب الخاصة ولا يدخل منه إلا خاصة إبن طولون وغيرها .

وكانت الأبواب المذكورة تفتح كلها أيام العيد وعرض الجيش والصدقة ،

وكان القصر له مجلس يشرف منه إبن طولون يومى العرض والصدقة لينظر من يدخل ومن يخرج ، وكان الناس يدخلون من باب الصوالجة ويخرجون

obeikandl.com

من باب السباع .

ومنذ تلك الفترة إنتقلت اللعبة الى مقاطعة لانجدوك Lnguedoc وإنتشرت من بعد فى أوروبة كلها .

كذلك لعبها الخليفة المستكفى بالله حيث يحكى السيوطى عنه : " كان شجاعاً يلعب الكرة ورمى البندق " .

أما الخليفة المقتفى بالله فكان يلعب البولو مع أولاد حاشيته أثناء زيارته لمدن الخلافة إذ قال البندارى : " حضرت بميدان واسط والمقتفى حاضر مع أولاده ، ولعبوا بالكرة " .

أشهر حوادث البولو :

وفى النجوم الزاهرة أن الوزير عبدالله بن يحيى بن خاقان توفى أثناء لعبه البولو فيقول إبن تغرى بردى : " وسبب موته أنه دخل ميداناً فى داره يوم الجمعة لعشر خلون من ذى القعدة لسنة ٢٦٣ هـ ليضرب الصوالجة وركب ولعب فصدمه خادمه رشيق فسقط عن دابته ميتاً " .

والحوادث من هذا كثير فى تاريخ اللعبة عند العرب فى مختلف العصور فمثلاً فى العصر المملوكى توجه السلطان السعيد بركة خان بن بيبرس إلى الكرك ولعب البولو فى ميدان القلعة فتقنطر به الفرس فإنكسر ضلعه ومات .

كما أن الأمير دولات باى الرماح ساق الفرس وهو يلعب فى أرض محجرة فسقط به ومات فى الحال . وذكر عن السلطان لاجين ركوبه إلى الميدان ولعبه البولو فسقط عن فرسه فتهشم بعض أضلاعه وكسرت يده اليمنى وإنصدعت رجله .

حوادث ناجمة عن الإلتحام وشدة الحماسة فى اللعب لكنها كانت تبدو وقتها حوادث عادية لم تمنع الناس عن ممارسة اللعبة .

البولو فى العصر الإخشيدى :

وفى العصر الإخشيدى أنشأ الأمير بكر بن محمد ميدان (الإخشيد) وكان حسب رواية المقريزى فى المواعظ والإعتبار من أعظم الأماكن فى مصر للعب البولو وللفروسية .

البولو فى العصر الفاطمى :

وممن لعب البولو من مشاهير الدولة الإسلامية الخليفة الفاطمى العزيز بالله (٩٧٥ – ٩٩٦ م) .

كذلك كان الوزير أبوعلى أحمد بن الأفضل يخرج إلى الميدان بالبستان للعب البولو

كما جرت العادة .
كما كان الوزير الضرغام من أكثر الأمراء ممارسة لهذه اللعبة ، أما ميدان لعبهم فهو ميدان القصر الذى يعرف بـ (الخرنشق) .

البولو فى العصر الأيوبى :

وقد تطورت البولو خلال العصر الأيوبى وأصبح لها تقاليد خاصة ، فكان من عادة السلاطين والأمراء والوزراء الخروج فى موكب مهيب كل يوم سبت ثلاث مرات متوالية بعد وفاء النيل فيلعبون البولو .
وكان الناصر صلاح الدين الأيوبى ماهراً فيها ، فقد خرج ذات مرة إلى (بركة الجب) للعب البولو والصيد ولم يعد إلى القاهرة إلا فى اليوم السادس .
وكان نجله السلطان نورالدين ماهراً فى اللعبة ، ويذكر المقريزى عن الملك العزيز عثمان أنه أنشأ ميدان (الملك العزيز) فى القاهرة بجانب خليج الذكر وكان موضعه بستاناً .
كما كان الملك الصالح نجم الدين أيوب ولعا بالبولو بحيث من يراه يلعب يقول ما يموت إلا من وقوعه عن ظهر جواده وقد أنشأ الميدان الصالحى وأنشأ فيه مناظر خلابة تشرف على النيل .
وكان الملك نور الدين بن زنكى يلعب البولو فى الميدان الأخضر فى دمشق ، ففى مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب يقول إبن واصل : " ركب فى خواصه وأصحابه ودخل الميدان والأمير همام الدين مودود وهو من أكبر أمرائه يسايره ، ثم شرع نور الدين باللعب بالكرة مع خواصه " .

البولو فى العصر المملوكى :

وزاد الإهتمام بالبولو فى العصر المملوكى بحيث أصبحت فى مقدمة أنواع الأنشطة الرياضية وأصبحوا يعرفونها بإسم (الصولجان) أو (الجوكان) وأعتبرت من نشاط السلاطين والأمراء .
وبطبيعة الحال طورت الميادين وأعدت على نطاق واسع حيث وضع السلاطين لتلك الميادين نظاماً خاصاً وحدوداً وأوقاتاً لممارسة اللعبة ، وأعدوا لها ما يلزمها

من خيول وأدوات ، كذلك خصصوا موظفين من المماليك يشرفون عليها يسمى الواحد منهم (جوكندار) .

ومارسها من سلاطينهم فى ميدان اللوق السلطان أيبك حيث ورد أنه :" نزل من القلعة ولعب بالكرة فى ميدان اللوق وصعد آخر النهار إلى القلعة والأمراء فى خدمته " .

والسلطان الظاهر بيبرس ، فبعد توليه الحكم كان يخرج يومى السبت والثلاثاء من كل أسبوع للعب البولو وأنشأ ميدان الظاهرى بطرف أرض اللوق .

ومما يؤثر عن الظاهر بيبرس أنه كان إذا ركب للعب البولو يجهز بالجفتة وهما إثنان من أوجاقية إصطبله متقاربان فى السن عليهما قباءان أخضران من حرير بطاز مزركش وعلى رأسهما قبعتان من الذهب ، ويمتطيان صهوتى فرسان

أشهبان ويسيران أمامه .

وأنشأ الملك العادل زين الدين كتبغا ميدان الفيل وصار ينزل إليه للعب البولو ، وأنشأ السلطان الناصر بن محمد بن قلاوون الميدان الناصرى فى أرض بستان الخشاب ، وميدان القلعة الذى أجرى له الماء وغرس فيه الأشجار ، وجدد فوق هذا الميدان القصر الأبلق .

وأنشئت من أجل هذا الميدان قنطرة الخرق على الخليج الكبير ليجتازها السلطان عند ذهابه إلى الميدان وقد حرف العامة هذا الإسم فصار يطلق عليه باب الخلق وأنشأ قلاوون أيضاً ميدان المهارى بالقرب من قناطر السباع فى بر الخليج الغربى ورتب فيه عدة حجور لنتاج الخيول وأعد له سواساً وأميراً خدرية وسائر ما يحتاج إليه .

وكذلك ميدان سرياقوس بالقرب من (الخانقاه) ، وكان يركب للعب البولو يومى السبت والثلاثاء بعد وفاء النيل مدة شهرين من السنة مع الأمراء والخاصكية ، وظل هذا التقليد قائماً بعد وفاته إلى أن أبطله السلطان الظاهر برقوق سنة ١٣٩٧ م .

ومن الأمراء والجنود المماليك ممن لم يكن أحد يجاريه فى اللعبة ، فذكر فى ترجمة محمد بن بكتمر بن الجوكندار (ت ١٣١١ م) أنه : " إنتهت إليه الرياسة فى لعب الكرة فلم يكن فى زمانه من يجاريه إلا علاء الدين قطلجا ، فكانا إذا إجتمعا رأى الناس منهما العجائب " .

ولم يكن لعب المماليك قاصراً على اللعب فى القاهرة ، فقد سار السلطان بيبرس إلى الإسكندرية ولعب هناك ، ومثله فعل السلطان الأشرف قايتباى فلعب فى أرض فضاء على ساحل البحر ، ولعب معه الملك المؤيد والأمراء وأقاموا فى نصب هناك لمدة ثلاثة أيام .

موسم لعب البولو :

وكان سلاطين المماليك كلهم حرص على إفتتاح موسم لعب البولو وإختتامه بأنفسهم يتضح ذلك أن السلطان الأشرف قايتباى لما بدأ يتوعك وقد بدت عليه

علامات الموت لم يمنعه ذلك من حضور إفتتاح موسم اللعبة ، ولعب يومها لعباً هيناً .

ولم نسمع عن إمتناع أحد السلاطين عن تلك المراسيم إلا لحدوث أمر جسيم كالإشتغال بالحروب أو الفتن مثلما حدث مع السلطان على إبن السلطان الأشرف شعبان فقد إمتنع عن اللعب لهذا السبب .

كما إمتنع السلطان حاجى سنة ١٣٨٢ م عن إستكمال موسم اللعب بسبب غرق الميدان بماء النيل .

وقد أبطل السلطان قنصوه الغورى سنة ١٥١٣ م اللعب بسبب عارض ألم بعينه ثم وهو الأهم إنتشار الطاعون بين الناس وكان غالب الأمراء فى حزن لفقدانهم أبناءهم .

والحق أن الإحتفاء بالبولو حسب رواية كلاً من المقريزى وإبن تغرى بردى وإبن إياس كان من مظاهر النظام الإجتماعى والعسكرى .

كما أنها إستهدفت بوجه خاص إقناع الزوار الأجانب بقوة الجيش المصرى يبدو ذلك واضحاً عندما نقرأ أخبار المهرجان الرياضى الكبير الذى نظمه السلطان قنصوه الغورى سنة ١٥١٢ م فقد تصادف أن نزل إلى القاهرة أربعة عشر قاصداً (سفيراً) لدول مختلفة من بينهم قاصد مكة وقاصد تونس وقاصد حلب وقاصد التركمان حيث دعاهم السلطان لمشاهدة ختام الموسم الرياضى للبولو .

المرأة العربية تلعب البولو :

وقد لعبت المرأة العربية البولو ، وكانت النساء تتخذ شارات أبنائهن وأزواجهن الرياضية ومن هؤلاء النساء المملوكية قطلوخان إبنة الجوكندار .

وخلاصة القول أن البولو صارت فى العهد المملوكى رياضة الدولة يمارسها السلاطين والامراء ويمارسها عامة الشعب والشاهد على ذلك رواية الرحالة تافور Tafur الذى زار القاهرة أيام الجراكسة .

إختلاف كرة البولو بإختلاف الطبقات :

وإن اختلفت الكرة المصنوعة فى اللعب ، فكانت الكرات الخاصة بالسلاطين والامراء

عبارة عن كتلة من مشاقة الحرير معبأة فى كيس من الحرير المتين وقد شدت بأطواق من الأوتار المرنة .

أما الكرات المستخدمة فى لعب العوام فكانت عبارة عن قطع مستديرة من الخشب أو الحجارة أو القماش السميك.

عدد لاعبى البولو :

وعدد اللاعبين فى البولو ستة فرسان من كل جانب ، وفى الواقع ليس لدينا معلومات عن كيفية توزيع اللاعبين ووظائفهم فى الميدان عدا أن هناك فارسين فى المؤخرة وواحد فى الأمام فى كل فريق .

وكان من إجادة لعب البولو بأن يضرب اللاعب بالكرة ضربة خلسة ويكون ضربه متشاذراً مسترسلاً وأن يتوخى اللاعب ضرب الكرة تحت حزام الدابة ، وألا يستعين بسوط وألا يؤثر فى الأرض بصولجانه أو يكسره ، أو أن يعقر قوائم دابته ، أو يؤذى من جرى معه فى الميدان.

وقد جعل عرض الميدان ستون ذراعاً كما ذكرابن قتيبة فى عيون الأخبار حتى لا يتعرض اللاعبون لجمهور المشاهدين ، وكان المشاهدون يلتفون حواليه وقوفاً أو جلوساً .

أدبيات لعبة البولو :

ومن أدبيات البولو التى عرض لها الجاحظ فى كتابه (التاج فى أخلاق الملوك) أنه : " من حق اللاعب على الملك إذا ضرب معه بالكرة أن يتقدم بدابته عن دابة الملك وصولجانه عن صولجان الملك ، وأن يعمل جهده فى ألا يبخس حظه ولا يفتر فى مسابقة ولا إلتفاف كرة ولا سبق إلى حد ونهاية وما أشبه ذلك " .

ويزيد إبن قتيبة فيصور كيفية تفوق اللاعب فى البولو فيقول : :" إن الضارب يضرب الكرة بالصولجان خلسة من تحت مخزم الدابة تلقاء لبتها وعليه أن يحسن كف الدابة فى شدة جريانها متوقياً من الصرعة والصدفة المفاجئة " .

هذا الشأن العظيم صوره الشعراء والأدباء أفضل تصوير فيقول أحد الشعراء المماليك مادحاً اللعبة وواصفاً إياها :

يا حسنها كرة كالنجم سائرة قد طال ترددها بين الجواكين
تفرق الهم إذ كانت مؤلفة بين القلوب بآراء السلاطين
لجبرهم لقلوب الجند إذ لعبوا مع الملوك وهم بعض المساكين

وقال الشاعر الدهان ملغزاً فيها :

ومضروب لهم جرم بلا جرم ولا ذنب

يعاقب وهو من كرم السجية طيب القلب

أما نصيب البولو من النثر فلدينا مكاتبة أوردها القلقشندى فى (صبح الأعشى) صادرة عن ديوان الإنشاء وهى مرسلة إلى نائب الشام بشأن طلب عصى الجواكين والكرابيج والأكر .

وسنورد إحدى تلك المكاتبات كما هى فى صبح الأعشى بمناسبة إفتتاح السلطان موسم لعب البولو : " كتب به فى العشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وسبعمائة .. ولا زالت ميادين سعده لا تتناهى إلى مدى وكرات كراته فى رحاب النصر تلمع كنجم الهدى ومدور صوالجه كشواجر المران تحلوا بتأييدها للأولياء وتغدو مريدة للعدا .

صدرت هذه المكاتبة وضفرها ولا يزال مؤيداً تهدى إليه سلاماً مؤكداً وثناءً كنشر الأرض بالندى وتوضح لعلمه أننا لم نزل بحمد الله نتبع سنن سلفنا الشريف ونجرى الأمور على عوائد جميلهم المنيف ونرى تمارين الأولياء على ممارسة الحروب ونؤثر إبقاء آثار الجهاد فيهم على أحسن أسلوب فلذلك لا نخل فى كل عام بالتعاهد إلى الميدان السعيد والركوب فى أسعد طالع بيدى النصر ويعيد لما فى ذلك من إبتهاج يتجدد وأسباب مسرة لكافة الأنام فى يوم السبت المبارك سادس عشر شهر رجب الفرد ركبنا الميدان السعيد فى أتم وقت أخذ من السعد بمجموعة وأظهر فى أفق العساكر نجيده وإنعام نفيده وإطلاق نبدئه ونعيده ، والأولياء بين أيدينا الشريفة يمرحون وفى بحار كرمنا المنيب يسبحون وفى ميدان تأييدنا المطيف يسيحون ، والكرات كالشمس تجنح تارة وتغيب ، وتخشى من وقع الصوالجة فتقابلها بوجه مصفر مريب .

ثم عدنا إلى القلعة المنصورة على أتم حال وأسعد طالع بلغ الأنام والأمان والآمال والعساكر بخدمتنا الشريفة محدقون ومماليكنا بعقود ولاءاتنا مطوقون والرعايا قد ألبسها السرور أثواباً وفتح لها من الإبتهاج أبواباً وقد أثرنا إعلام الجناب بذلك ليأخذ من هذه المسرة والبشرى ويشرك هو والأنام فى هذه النعمة الكبرى .

ومرسومنا للجناب أن يتقدم بالركوب بمن عنده من الأمراء فى ميدان طرابلس

المحروسة ويلعب بالكرة على جارى العادة فى ذلك ليساهم أولياء دولتنا القاهرة فى ذلك ويسلك من طرقهم الجميلة أجمل المسالك " .

مناظر للعبة البولو :

ومن الأثار والمقتنيات التى تخلد لعبة البولو أبريق من النحاس الاصفر المكفت بالنحاس الأحمر وجد بالعراق ويعود للقرن ١٣ م .

ويزخرف بدن الأبريق شريط عريض شغل القسم الأسفل منه مناظر للبولو حيث الفرسان وقد أمسكوا بالجوكان وهم يتبادلون الأوضاع من قذف للكرة ثم الجرى فى سرعة فائقة لملاحقتها كما ظهرت المنافسة الشديدة بينهما فى حركاتهم وحركات جيادهم ، ورسم المنظر على أرضية من الزخرفة النباتية .

وهناك صفحة من البرونز موطنها أيضاً العراق من أواخر القرن ١٤ م قطرها ٢٥ سم عليها رسوماً لفرسان يلعبون البولو .

وهناك دواة من البرونز مع توشيحات فضية موطنها مصر ، إرتفاعها ٩ سم عليها شارة لعب البولو وتنتمى إلى تلك الحقبة .

وفى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة صحن من الخزف الملون وزخارفه مرسومة بالألوان الأزرق الغامق والأسود والرمادى والبنى على أرضية بيضاء وعليه فى الوسط صورة طائر يحيط به شريط من زخارف نباتية يتخلله رنك به شارة عصوى البولو وهو ينسب إلى القرن ١٤ م أيضاً .

ويحتفظ نفس المتحف بمشكاة من ذلك العهد عليها كتابة بإسم الأمير الملك تتخلها ثلاثة رنوك بها شارة عصوى البولو .

كما توجد بالمتحف جلود كتب إيرانية ومخطوطات بها صور توضيحية .

وإحدى هذه المخطوطات ديوان الشاعر حافظ الشيرازى مؤرخ بسنة ١٥٣٢ م ويحوى إحدى الصور منظراً للعبة البولو ويظهر فيه فارسان على ظهور جيادهما وبأيديهما عصى البولو يحاولان بها ضرب الكرة .

وهناك أيضاً طست الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وهو طست من البرونز المكفت بالفضة ويزخرف سطح البدن من الداخل زخارف جامات شغلت بالمناظر المختلفة ، منها جامتين شغلت برسوم مناظر لعبة البولو حيث يظهر منظراً لفارس

يمتطى صهوة جواده ويمسك فى يده اليمنى بالجوكان ليضرب به الكرة وهو ينظر أمامه بينما ينظر الفارس الآخر للوراء .

وطست من البرونز المكفت بالفضة وهو كذلك للملك الصالح ، ويزخرف السطح الخارجى للطست شريط عريض شغل بمناظر البولو فى وضعيات مختلفة ، فهناك عدد من الفرسان يمسكون بالجوكان ويلاحظ فيهم وفى جيادهم التنوع فى الحركات وتبادل مواقعهم من ضرب الكرة والجرى وراءها ثم التنافس الشديد على إلتقاطها .

كما صورت البولو على طست آخر من النحاس المكفت يعود للقرن ١٣ م تزينه زخارف متنوعة من بينها زخارف لثلاث جامات دائرية الشكل تضم كل منها فارساً يلعب البولو .

فيظهر الأول وهو يحمل كرة فى يده اليسرى فى الوقت الذى إرتفعت فيه يده اليمنى ممسكة بالجوكان خلف رأسه .

أما اللاعب الثانى فيظهر وقد رفع العصا بيده اليمنى فى حين إستعد اللاعب الثالث لضرب الكرة بالجوكان الموجود بيده اليسرى .

وهناك قنينة من الزجاج المموه بالمينا ، تظهر زخارفها مجموعة من الفرسان وقد أمسكوا بالجوكان وأخذوا وضع الإستعداد لضرب الكرة التى توجد أسفل الجوكان .

الكرة والميجار :

وهناك لعبة أخرى شبيهة بالبولو ظهرت لاحقاً كانت تسمى (الكرة والميجار) لكنها لم تبلغ من الشهرة شأواً كما بلغت البولو .

الرياضات المائية فى العصور الإسلامية :

ومن الطبيعى أن يمارس العرب فى عصورهم الإسلامية رياضات ألعاب الماء على نطاق واسع .

فمن وصايا الحجاج بن يوسف الثقفى لمعلم ولده : " علم ولدى السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يصيبون من يكتب ولا يصيبون من يسبح عنهم " .

ويحكى الجاحظ عن أبى عقيل بن درست أنه قال : " رأيت أبا هاشم الصوفى مقبلاً من جهة النهر فقلت له : فى أى شيئ كنت ؟

قال : في تعلم ما ليس ينسى وليس لشيئ من الحيوان عنه غنى .
قلت : وما ذاك ؟
قال : السباحة " .
والذاكرة العربية الواعية لم تزل تذكر دور عيسى العوام من قادة السلطان صلاح الدين الأيوبى من خلال السباحة فى هزيمة الغزاة الصليبيين .
كذلك هروب الشاعر أبو فراس الحمدانى من الأسر بالقفز بفرسه فى البحر وغير تلك الأمثلة كثير فى التراث العربى .

السباحة فى العصر العباسى :

وكانت السباحة من أهم الرياضات عند العباسيين وخاصة فى عهد الخليفة المستكفى ، كما كان معز الدولة يشجع التدريب عليها .
ويتكلم السيوطى فى تاريخ الخلفاء عن تشجيع المستكفى الشباب على مزاولة السباحة وإتقان فنونها وأغرى المصارعين والسباحين فإنهمك شباب بغداد فى تعلم المصارعة والسباحة حتى صار السباح يسبح وعلى يده كانون وفوقه قدره فيسبح حتى ينضج اللحم.
وقريب منه ما أورده السيوطى أيضاً ، أنه عندما غلب أحمد بن بويه على بغداد شجع المصارعة والسباحة .
وبلغ من إهتمام الخليفة المتوكل تشييده حمامين للسباحة فى قصر الخليفة بسامراء أطلق عليهما البركة النهارية والبركة الليلية ، ويستمدان المياه من قناة تجرى تحت الأرض .
فالبركة النهارية تقع فى الجهة الشرقية الخلفية على بعد نحو ستمائة متر من القصر وقد سميت بأسماء عديدة منها الزندان ، والهبية (الهاوية) ، وهاوية السبع .
وهى تتألف من حفرة مربعة منقورة فى الصخر يبلغ عمقها أكثر من عشرة أمتار وطول ضلعها نحو واحد وعشرون متراً .

ويتوسط هذه الحفرة بركة كبيرة مستديرة تستمد مياهها من الكهريز الفرعى الذى يتشعب من القناة الرئيسية .

والأرجح أن الحفرة كانت مسقوفة فنظمت على شكل سرداب لغرض منع حرارة الشمس ، وقد نقرت فى كل ضلع من أضلاع الحفرة ثلاثة أواوين نقشت على جدرانها نقوش زخرفية .

وكان يؤدى إلى السرداب درجين متصلين بدهليز ويقع هذا المدخل فى غرفة نقشت على جدرانها زخارف .

أما البركة الليلية وكانت مكشوفة وكانت فى الجهة الشمالية الغربية من البركة النهارية ، وكانت أوسع منها والغرض منها أن يقضى السلطان جلساته الليلية .

وكانت هى الأخرى منقورة فى الصخر وتقع فى وسط حفرة مدورة يبلغ طولها نحو مائة وخمسة عشر متراً أما قطرها فيبلغ نحو ثمانين متراً .

وتستمد مياهها من البركة النهارية أما المياه الزائدة فكانت تصرف إلى نهر دجلة فى كهريز آخر .

وفى تأنق وروعة هذان البركتان ما دعى البحترى ليصف إحداهما فيقول :

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها

إذا النجوم تراءت فى جوانبها ليلاً حسبت سماء ركبت فيها

السباحة فى العصر المملوكى :

وفى العصر المملوكى عرف عن الظاهر بيبرس ولعه الشديد برياضة السباحة لمسافات طويلة حتى أنه سبح مرة فى نهر النيل وهو يرتدى ملابس الحرب ، ويسحب خلفه بعض أمرائه الجالسين على عوامة مسطحة .

وكان السلطان المؤيد شيخ كما روى المقريزى يسبح فى النيل بقوة بالرغم من الألم الذى كان يلازمه فى رجله حتى أنه كان يعجز عن القيام فيقعد فى تخت من خشب وترخى به من أعلى القصر بحبال إلى الماء ، وكان عندما يعود يرفع به التخت حتى يجلس مجلسه .

ويصف إبن خلكان أطفالاً يسبحون بسرب الظباء ويصور حركاتهم فى الماء :

وسرب ظباء فى غدير تخالهم بدوراً بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول خليلى والغرام مصاحبى أما لك عن هذى الصبابة مذهب
وفى دمك المطلوب خاضوا كما ترى فقلت له : دعهم يخوضوا ويلعبوا

وليس أروع من وصف عبد المحسن الصورى فى القرن الخامس الهجرى لإحدى الحسان وهى تسبح فى الماء حيث يقول :

رأيت ما لم يره راء ماء غدا يسبح فى ماء
أومأت باللحظ إلى جسمه فكاد أن يدنيه إيمائى

التجذيف فى العصور الإسلامية :

وفى رياضة التجذيف هناك لوحة من كتاب (مقامات الحريرى) محفوظة بمتحف هرميتاج Hermitage بموسكو تمثل رحلة بسفينة إلى البصرة وعليها ثمان أشخاص ثلاثة منهم يقومون بالتجذيف وخمسة يجلسون فى الجانب الآخر .

وكان ملوك القيروان فى القرن التاسع الميلادى ينظمون سباقاً للتجذيف إلى جانب مهرجانات مائية أخرى على حوض كبير ما زال موجوداً حتى اليوم .

وصف سفن التجذيف :

كما وصف إبن جبير رياضة التجذيف سنة ١٢١٧ م فى يومياته التى عرفت برحلة إبن جبير وسميت (تذكرة بالأخبارعن إتفاقات الأسفار) .

أما فى العصر الفاطمى فعرف العرب الغطس وشغفوا به أكثر من غيره ، وقد خصص للفائزين جوائز وعطايا .

وكتب أبو عامر بن عقال يصف سفينة الأمير يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين نحو سنة ٥١٠ هـ .

وقد راعه منها مجاذيفها االمتراصة المتقاربة من الجانبين كأنها الأهداب فقال : " وفى الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه (أيده الله) من فرسى جزيرة

طريف على بحر ساكن قد ذل بعد إستصعابه وسهل بعد أن رأى الشامخ من هضابه ، وصار حيه ميتاً وهدره صمتاً ، وجباله لا ترى عوجاً ولا أمتاً ، وضعف تعاطيه ، وعقد السلم بين موجه وشاطيه ، فعبر أمناً من تطوراته ، متملكاً لصهواته ، على جواد يقطع الحروف لمحاً ، ويكاد يسبق الريح سبحاً ، لم يحمل لجاماً ولا سرجاً ، ولا عهد غير اللجة الخضراء مرجاً ، عنانه فى رجله وهدب العين يحكى بعض شكله ، فلله دره من جواد له جسم وليس له فؤاد ، يخرق الهواء ولا يرهبه ، ويركب الماء ولا يشربه " .

ويصف ابن هانئ الأندلسى سفن المعز لدين الله فيقول :

أما والجوارى المنشآت التى سرت لقد ظاهرتها عدة وعديد
قباب كمت تزجى القباب على المها ولكن من ضمت عليه أسود
ولله مما لا يرون كتائب مسومة تحدو بها وجنود
أطاع لها أن الملائك خلفها كما وقفت خلف الصفوف ورود
وأن الرياح الذاريات كتائب وأن النجوم الطالعات سعود
وما راع ملك إلا إطلاعها تنشر الأعلام لها بنود

ويصف على بن محمد الأيادى سفن الدولة الفاطمية ، وأن مجاذيفها المرصوفة أشبه بقوادم النسر ، وأن هذه السفن ذات المجاذيف كانت تستخدم لحرب الأعداء

محفوفة بمجاذف مصفوفة فى الجانبين دوين صلب صلب
كقوادم النسر المرفرف عريت من كاسيات رياشه المتهدب
وتحثها أيدى الرجال إذا ونت بمصعد منها بعيد مصوب
خرقاء تذهب إن يد لم تهدها فى كل أوب للرياح ومذهب
جوفاء تحمل كوكباً فى جوفها يوم الرهان وتستقل بمركب

وفيها يصور الصارى والدقل فى أعلاه برج صغير يجلس فيه ملاح يترقب البحر من أعلى السفينة فيقول :

تسمو بأجرد فى الهواء متوج عريان منسوج الذؤابة شوذب
يتركب الملاح منه ذيابة لو رام يركبها القطا لم يركب
فكأنما رام إسترافه مقعد للسمع إلا أنه لم يشهب

وكأنما جن إبن داود هم ركبوا جوانبها بأعنف مركب

وقد إتخذ بعض الشعراء من وصف السفن ورحلتها فى الأنهار صورة مقابلة لرحلة البعير فى الصحراء مثل قول الشاعر مادحاً المهدى :

وغدراء لا تجرى بلحم ولا دم قليلة شكوى الأين ملجمة الدبر

إذا ظعنت فيها الفلول تشخصت بفرسانها لا فى وعوث ولا وعر

تلاعب تيار البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

سباق الزوارق الشراعية :

وذكر أن الملك المنويد داود بن يوسف من ملوك اليمن قدم إلى مدينة عدن بعد توليه الحكم سنة ١٢٩٩ م وحضر سباق الزوارق الشراعية فى ساحل صيرة وأجرى نواخيذ الهند إستعراضاً على جارى عاداتهم فأكرمهم الملك ووزع الهدايا

الغوص عند العرب :

وأمر ذا صلة وهو يتعلق بالغوص عند العرب فعند أهل البحرين (يوم الدبشة) لإحياء مهنة الغوص التى مورست على مدى آلاف السنين ، فتخرج فى هذا اليوم أربعة قوارب تحمل أعضاء الرحلة .

وفى المحرق يحفر صناع سفن (الداو) فى الخشب ليحافظوا على تقاليد بناء هذه السفن التى حملت آباءهم وأجدادهم إلى أعالى البحار .

كما شغف العرب بالغطس فى العصر العباسى أكثر من غيره ، وخصص للفائزين جوائز وعطايا .

الصيد فى العصور الإسلامية :

أما رياضة الصيد فحظيت هى الأخرى بإهتمام كبير حيث يرتبط إستهلاك الطرائد بالتعاليم الإسلامية إذ ليست الفصائل كافة قابلة للإستهلاك كذوات الأنياب على سبيل المثال وفى هذا السياق لابد من إحترام طريقة ذبح الطرائد .

ومن جهة أخرى شكلت أعصاب الحيوانات مصدراً ممتازاً لصناعة الأوتار المستخدمة فى الأقواس .

كما لم يكن للخلفاء رياضة أمتع من الصيد وفى ذلك يتحدث المستشرق الألمانى بيتر سمرفيلد Peter Sommerfeld فى كتابه (العرب حضارة وتاريخ)

فيقول : " ليس هناك من بين أمم وشعوب العالم من هم أبدع من العرب فى الصيد والقنص وأن رياضة الصيد والقنص بالطيور خاصة تعد من أجمل ضروب الرياضة وأحلاها وأكثرها التصاقاً بحياة العرب ".

وقد خصص الخلفاء لرياضة الصيد النفقات والرواتب الثابتة ، فبلغت نفقات الكلابزيين والبازدارة والفهادين فى دور الخليفة المتوكل خمسمائة ألف درهم فى السنة .

من ناحية أخرى نقرأ فى مقدمة إبن خلدون عند حديثه عن ميزانية بغداد أن البزاة والصقور شكلت جزءاً من الموارد التى تجبيها الدولة من الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات.

رحلات الصيد :

وكانت رحلة الصيد المرافقة للخليفة تضم المئات وعند الإستعداد للخروج فإن رئيس الرحلة يعطى أوامره لرؤساء الساسة والأدلاء والرماة وحملة السهام .

كما يعطى أوامره البيازرة والكلابين وللحرس المرافق للخليفة وعائلته والأطباء المرافقين بالإضافة إلى الفلكيين والحجاب والمرتلين والطباخين .

والبداية مع تشييد قصور البادية فمثلاً شيد الوليد بن عبدالملك قصر (برقع) عندما كان ولياً للعرش لشغفه برياضة الصيد بإستخدام الصقور العربية المدربة والبرقع هو الذى يوضع على عينى الصقر قبل إنطلاقه .

وقد تحدثنا عن تلك القصور وما كان يمارس فيها من رياضة الصيد وخاصة فى العصر الأموى الذى كان عصر صيد وقنص بالدرجة الأولى .

ومن هذا العصر يصف الشاعر أبى النجم العجلى فى إحدى طردياته قوس الصياد وسهامه بقوله :

فى كفه اليسرى على ميسورها كبداء قسعاء على تأطرها
نبعية قد شد من توتيرها هتافة تخفض من نذيرها
وفى اليد اليمنى لمستعيرها شهباء تروى الريش من بعيرها

كما نقرأ قول أحد الأمويين لمعاوية لما دعاه إلى المبارزة بصفين :

ما للملوك وللبراز وإنما حظ المبارز خطفة من باز

الصيد فى العصر العباسى :

وفى العصر العباسى كان الخليفة المنصور داعياً للصيد مشجعاً له ، وركب المنصور يوماً فرسه وعلى يده بازى حتى عبر الجسر بادياً وإنكفئ فعبر الآخر راجعاً وتبينه الناس ، فلما عاد وإستقر به مجلسه قال لأحد خواصه : ما قال الناس فى ركوب أمير المؤمنين على هذه الحال ؟

قال : عجبوا منها .

قال المنصور : إنه كان لأمير المؤمنين فى ذلك مذهب وهو أنه سيأتى من أبناءنا من يحب الصيد ويتبذل فيه ، فأحببت أن يكون منى ما رأيت ، فمتى فعل مثله منا فاعل بعدى قال الناس : قد ركب المنصور على مثل هذه الصورة .

وكان الخليفة محمد المهدى بن المنصور هو الآخر شغوفاً بالصيد لايكاد يسلوه ولا يبارى فيه .

وقد تحدث المدور فى كتابه (حضارة الإسلام فى دار السلام) عن ولوع المهدى فى الصيد فقال : " إذا خرج إلى الصيد ركب فى المواكب العظيمة المهيبة . وربما كان ذلك أحب الأشياء إليه لدرجة أنه لقى حتفه بسبب الصيد عندما كان يلاحق غزالة .

وليس الصيد من الملاهى التى تعاب على الملوك إلا متى أفرطوا فيه وكانوا أقرب إلى الأثر منه إلى النزهة والرياضة كما نعلم من صبية الأمويين الذين أجلوا أهل الزراعة من حولهم لتحطيمهم زرعهم فى طلب الصيد وهذا بعيد عن المهدى ، وإنما هو كلف به من غير إفراط فقد كان من بين الأمراء من يتأنق

أكثر منه فى إتخاذ العدة للصيد حتى أنهم صنعوا نصال سهامه من الذهب " .

وأنشد أحد شعراء المهدى ولوعه بالصيد قائلاً :

يغدو الإمام إذا غدا للصيد ميمون النقيبة
فتؤوب ظافرة جوارحه وأكلبه الأديبة
بمخالب وبراثن بدماء ما إقتنصت خضيبة
وسهامه لوحوشه والطير قاصدة مصيبة
وكأنما عرفته فائق أدت لدعوته مجيبة

ويروى أن على بن سليمان العباسى خرج مع المهدى يوماً فعرض لهما ظبى سانح فرماه هو والمهدى بسهمين ، أما المهدى فأصابه بينما أصاب على بن سليمان كلباً كان قد أرسل عليه وقتلاهما ، فقال أبو دلامة المشهور بسخريته متندراً :

قد رمى المهدى ظبياً شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليمان رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كل إمرئ يأكل زاده

ونرى البحترى يصور عراك الوزير العباسى الفتح بن خاقان للأسد فى بعض مدائحه ، وكان الوزير قد خرج فى رحلة صيد ففاجأه أسد فى طريقه فنازله وقتله .

وإنتهز البحترى الموقف فتحدث عن حياة الأسد فى الغابات والرياض وبطون الوديان وأعاليها وكيف يهجم على قطعان الحمر الوحشية وبقر الوحش وكيف أنه يستلب عقائلها وينحرها لأشباله ، ويبدأ فى تصوير المعركة :

فلم أر ضرغامين أصدق منكما عراكاً إذ الهيابة النكس كذبا
فأحجم لما لم يجد فيك مطعماً وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
فلم يغنه أن كر نحوك مقبلاً ولم ينجه أن حاد عنك منكبا
حملت عليك السيف لا عزمك إنثنى ولا يدك إرتدت ولا حده ذنبا

وفى موضع آخر تعرض البحترى بنفسه لمجابهة ذئب فى بعض أسفاره فنازله

وقضى عليه فأفاض فى تصويره من وصف لونه المغبر إلى سواد وأعضاءه من الصدر والأرجل ، وكذا ذنبه الرفيع ومتنه الصلب ، وكيف أضمره الجوع حتى لم يبق فيه إلا العظم والجلد وهو يصوت بأنياب صلبة معوجة كأنها السكاكين الباترة وكأنه مقرور تصطك أسنانه من شدة البرد ، ثم أنهما إلتقيا فى فلاة موحشة قد إستحال البحترى فيها من شدة الجوع بدوره ذئباً مفترساً ، فنازل الذئب وطعنه طعنات قاتلة حتى خر صريعاً :

وأطلس ملء العين يحمل زوره وأضلاعه من جانبيه شوى نهد
لـه ذنب مثل الرشاء يجره ومتن كمتن القوس أعوج منأد
طواه الطوى حتى إستمر مريره فما فيه إلا العظم والروح والجلد
يقضقضن عصلاً فى أسرتها الردى كقضقضة المقرور أرغده البرد
سما لى وبى من شدة الجوع ما به ببيداء لم تعرف بها عيشة رغد
كلانا بها ذئب يحدث نفسه بصاحبه والجد يتعسه الجد

ما أجمل وصف البحترى لهذا العراك لكن إبداعه الحقيقى يتجلى فى وصف الخيل كما فى وصف فرس يسرع كأنه العقاب ينقض على فريسة ويقف منتصباً كصقر مترقب وكأنه حين يجرى فى النقع المتناثر شعلة نار أو كالبرق الخاطف .

وما أجمل صهيله ذا الرنين وإنه ليأخذ بالعيون ويقيدها حين تنظر إليه فلا تلوى يسرة أو يمنة :

يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت صيداً وينتصب إنتصاب الأجدل
وتراه يسطع فى الغبار لهيبه لوناً وشداً كالحريق المشعل
هزج الصهيل كأنه فى نغماته نبرات معبد فى الثقيل الأول
ملك العيون فإن بدا أعطينه نظر المحب إلى الحبيب المقبل

وكان إذا نمى إلى هارون الرشيد خبر صياد متفنن فى الصيد إستقدمه إليه وإصطفاه لنفسه ، كما كانت له رحلات صيد رائعة يصطحب معه فيها عدد من أصحابه فكان يخرج إلى الصيد بالرقة وبلاد الموصل وعلى يده بازى أبيض . كما كان المعتصم ألهج الناس بالصيد ، فبنى فى أرض دجيل حائطاً يمتد لمئات الفراسخ ، وكان إذا ضرب حلقة يضايقونها ولايزالون يحدون الصيد حتى

يدخلوه وراء ذلك الحائط فيصير بين الحائط ودجلة فلا يكون للصيد مجال ، فإذا إنحصر فى ذلك الموضع دخل مع خواص حاشيته وتأنقوا فى الصيد .

وكان بقصر المعتصم مكاناً يحفظ به الحيوانات يسمى (حير الوحوش) . وبلغ من إهتمامه بالصيد بأن زين مرافق قصر (الجوسق) بسامراء بصور الصيد فى منظر يمثل مقتل ظبى على يد قاتصه .

كما زينوا الجرار الفخارية الطويلة المستعملة فى حفظ شراب النبيذ برسوم منقوشة على هذه الجرار تمثل موضوعات ذات علاقة وثيقة بالبلاط ، فهى تتألف من نسوة غانيات وصيادين وضباط عسكريين ، فالصياد يرتدى ملابس ثقيلة ويحمل غزالاً على كتفيه .

ثم كان للمتوكل بن المعتصم متصيداً خاصاً به يمارس فيه رياضة الصيد ، ويحكى عن المعتز بالله بن المتوكل أنه أطلع عبيدالله بن عبدالله بن طاهر وقد نزل ضيفاً عنده على عراك بين أسد وفيل وكان ذلك إحدى العجائب التى

أطلعه عليها .

كما كان الخليفة المعتضد بن الموفق بن المتوكل كالمعتصم فى أكثر أموره ومآربه وأشبه به لمباشرة الصيد ولم يكن ينفك من حرب إلا إلى صيد ولا من صيد إلا إلى حرب .

ويذكر الصابى أن المعتضد كان ينفق كل يوم سبعين ديناراً للصيادين من البازياريين والفهادين والكلابين .

ولما بنى المعتضد قصره الثريا حدث نديمه يحيى بن على قائلاً : " أما ترانى قاعداً على سريرى يعرض على وزيرى ويصطاد بين يدى صيد البر والبحر كأنى فى وسط المتصيد " .

ولما كان المعتضد مشهوراً بصيد الأسود أنشد الشاعر مادحاً إياه بقوله :

يا صائد الأسد إن صيدكها لجامع خلتين من رشد
فلذة تجنى ومنفعة للسالكين السبيل والقعد
وأى شيئ أجل منفعة من أسد قاسط إلى أسد
وأى لص أجل مرزأة من متلف الروح متلف الجسد

وخلال حكم الخليفة المقتدر كان الصيادون يمسكون بالنمور وينقلونها إلى معارض الوحوش والمحميات وحدائق الحيوانات مثل حير الوحوش الذى يقع على مقربة من دار الثريا .

أما الخليفة المتقى بالله بن المقتدر فكان يخرج إلى الشماسية بجوار بغداد لصيد السباع ، وكان الخليفة المستنجد بالله بن المقتفى ينظم عدداً من الجماعات كانت تخرج بإنتظام للصيد .

وشجع الخليفة الناصر لدين الله بن المستضيئ الشباب على مزاولة رياضة الصيد واغدق عليهم العطايا وكان الشباب يخرجون إلى الصيد بمواكب كبيرة وتقام مهرجانات شيقة تكريماً لهم .

أما الخليفة المستعصم بالله بن المستنصر فكان له هو الآخر شغفاً بالصيد وقد إستخدم الشواهين فى الصيد ، وكان يلجأ فى صيده إلى نظام الحلقة وكان يهوى صيد الحمر الوحشية .

وحدث فى عهده أن أهل البصرة إصطادوا أسداً فحملوه وأرادوا التطواف به فلما مروا من محلة الحربية ليصلوا إلى محلة باب التبن منعهم أهل الحربية فوقعت بينهم معركة ذهب ضحيتها قتلى بين الطرفين .

وفى وصف الخليفة المكتفى ليوم صيده بكثرة وحشه وضراوة فهوده : " فمضى يومنا بين فهود لا تشبع وظباء لا تجزع " أصدق وصف لرحلات الصيد فى ذاك الزمان .

ولقد إستمر صيد الأسود قرب بغداد إلى العصر الحديث كما أثبت الباحث العراقى أحمد سوسة فى (الفيضانات وغرق بغداد) .

أما الخليفة الفاطمى العزيز بالله فعرف بالخليفة الصياد وقد وجدت حارة فى العصر الفاطمى تعرف بحارة البيازرة .

وربما يترجم طبيعة ممارسة رياضة الصيد فى ذلك العصر قول بازيار العزيز بالله فى كتابه (البيزرة) مستهلاً كلامه : " ويغدو للصيد إثنان متفاوتان ، صعلوك منسحق الأطمار وملك جبار فينكفئ الصعلوك غانماً وينكفئ الملك غارماً وإنما يشتركان فى لذة الظفر " .

ويبين تكاليف تلك الرياضة ونفقاتها فيقول : " ولا مؤونة أغلظ على ذى المروءة من تكلف آلات الصيد لأنها خيل وصقور وفهود وكلاب وآلات تحتاج فى كل قليل إلى تجديد ، ومن ههنا قيل لايشغف بالصيد إلا سخى " .

ومع إزدهار رياضة الصيد فى ذلك العصر تسابق علماء اللغة فى تدوين أسماء الطيور والجوارح وأصناف الحيوان وطباعه وطرق الإنتفاع منه .

وذاع فى الأدب العربى إعتمد الأدباء إنشاء قصص جعلوا الحيوان أبطالها الرئيسين كما فعل عبدالله بن المقفع فى (كليلة ودمنة) وإخوان الصفا فى رسالة (تداعى الحيوانات على بنى الإنسان) .

(من كتاب كليلة ودمنة ١٢٠٠ . ١٢٢٠ م)

كما ذاع شعر الطرادة ونبغ وإتجه صوب هذا الفن شعراء كبار من أمثال : جرير والفرزدق وذا الرمة وابو شمردل بن الشريك الذى يتحدث عنه كتاب (الأغانى) فيقول أنه كان صاحب قنص وله فى الصقر والكلب أراجيز عديدة .

والشاعر ابو نخيلة وله أرجوزة فى طرد عشر نعامات يقول فيها :

أنعت مهراً سبط القراة ورداً طمراً مدمج الساة
يغدو بنهد فى اللجام عات نعائماً عشراً مطردات
صك العراقيب هجنعات فإنصاع وانصعن موليات
ما كان إلا هاكه وهات حتى إجتمعن متناغصات
بالسهب والغدر من الحماة واختل حضناً هيقة شوشات
فإنعقرت من آخر الهيقات بغير تكبير ولا صلاة

كأنها خالفة السراة

وإشتهر أبو العباس الناشئ الأكبر بطردياته وقد إعتمد (كشاجم) على طردياته تلك .

ولما كانت كلاب الصيد لا تذبح الطريدة ولا تجرحها وإنما تمسكها حتى يأتى صاحبها فيأخذها منها أو كما يصف الجاحظ فى كتابه (الحيوان) كيفية مطاردة الكلاب للطريدة فيقول : " على أن للكلب فى تتبع الدراج والأصعاد خلف الأرنب فى الجبل الشاهق من الرفق وحسن الإهتداء والتأنى ما لا يخفى مكانه على البيازرة والكلابين " .

جاءت غالبية الطرديات ناعتة لكلاب الصيد واصفة مطارداتها وللناشئ الأكبر طردية فى صيد الكلاب يستهلها على هذا النمط :

قد إغتدى والفجر فى حجابه لم يحلل العقدة من نقابه
بأغضف عيشة من عذابه من صولة بظفره ونابه
براح أن يدعى ليعتدى به خط يد الكاتب فى كتابه

فقد جعل الكلب كادحاً لا يقيم أوده إلا بصولاته وجولاته وصور نشوته حين ندبه صاحبه للصيد وتستحيل الأرض كأنها صحيفة وهو يخط فيها ببراثنه .

وفى طردية أخرى يجعل هذا الصاحب يعرف قيمة كلبه فيؤثره على نفسه ويأتس به وكأنه يشتق أخلاقه من أخلاق هذا الكلب وأنه يرعاه فى كل كبيرة وصغيرة وكأنه عبد يتقرب لسيده بكل ما يصونه حتى يفك رقبته ويرد عليه حريته . ويعود إلى فكرة عشق الكلب للصيد فيجعله حين يكون فى ربقته كعاشق طال عليه البعد والهجران حتى أصابه ضنى شديد .

ويتحدث عن جمال صفرته الأخاذة وغرته فى جبهته وحجوله فى سيقانه وبياضها يلمع أثناء عدوه كأنه ضوء :

يا رب كلب ربه فى رزقه يرى حقوق النفس دون حقه
متبعاً بخلقه لخلقه كأنما يملك عقد رقه
يصونه بجله ودقه كآمل من مالك لعتقه
تراه فى تسريحه وربقه كعاشق أضناه طول عشقه
أفر يلهى العين حسن خلقه كذهب أبرزته من حقه
ذو غرة فارقة لفرقه وذو حجول بينت عن سبقه

وقريب منه قول الحسن بن هانئ حين يصف كلباً :

أنعت كلباً أهلـه فـى كده قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده يظل مولاه لـه كعبده
يبيت أدنى صاحب من مهده وإن عدا جللـه ببرده
ذا غرة محجلاً بزنده تلد منه العين حسن قده
تأخير شدقيه وطول خده تلقى الظباء عنتاً من طرده
تشرب كأس حتفها من شده يصيدنا عشرين فى مرقده

يل لك من كلب نسيج وحده

ومدح آخر كلب صيد فقال :

ومؤدب الأنساب يمسك صيده متوقفاً على أكله كالصايم
طرب إذا ما صاد عانق صيده طرب المقيم إلى عناق القادم

ويصف عبدالله بن المعتز كلبة صيد إختلط سوادها ببياضها تخشى الطرائد لقاءها
.

ويشرع من ثمَ فى وصف كلب صيد آخر فقال أنه شديد الأعضاء محكمها وأنه يخالف الكلبة بما فيه من بقعة بيضاء كأثر الشهاب فى السماء .
وأن كلب الصيد هذا يصيد ما لا يقل عن خمسين طريدة قبل أن يدركه التعب فقال :

لما تعرى أفق الضياء مثل إبتسام الشفة اللمياء
وشمطت ذوائب الظلماء وهم نجم الليل بالإغفاء
قدنا لعين الوحش والظباء زاهية محذورة اللقاء
شائلة كالعقرب السمراء مرهفة مطلقة الأحشاء
كمدة من قلم سوداء أو هدية من طرف الرداء
بأذن ساقطة الأرجاء كوردة السوسنة الشهلاء
ذا برثن كمثقب الحداء ومقلة قليلة القذاء
صافية كقطرة من ماء ينساب بين أكم الصحراء
مثل إنسياب حية رقطاء أنس بين السفح والفضاء

سرب ظباء رتع الأطلاء فى عازب منَور خلاء
أحوى كبطن الحية الخضراء فيه كنقش الحية الرقشاء
كأنها ضفائر الشمطاء يصطاد قبل الأين والإعياء

خمسين لا تنقص فى الإحصاء

صيد الأسود فى العصر العباسى :

وأورد (كشاجم) طرديتان للناشئ الأكبر فى صيد الأسود ونراه يصورها فى إحداهما بهذه الصورة الرائعة ، فالأسد قد حانت ساعته بعدما كان الناس يخشون بأسه ويفزعون منه أيما فزع ، ويقول أن هامته كانت من القوة والصلابة مثل ترس حرب وفمه كالغار يسقط فيه كل ما يقضمه أما عينيه فمن شدة توقدها كانت كأنها البرق الخاطف وكأن الموت كان يجثم على فمه بين لحييه وملتثمه :

رب ذى شبلين قسورة قد أحم الحين فى أجمه
لا ترى حياً يطيف به لا ، ولا يدنو إلى حرمه
كمجن الحرب هامته وكغور الغار رحب فمه
وكأن البرق ما قدحت عينه باللحظ من ضرمه
وكأن الموت معترض بين لحييه وملتثمه

وللناشئ الأكبر طردية يصف فيها الفهد وبأسه وصفاً رائقاً جذاباً لم يفوت فيه جارحة من جوارحه إلا وصفها فيقول :

وأنمر موشى القميص ملمع كأن عليه منه رقماً موشما
يلوح على خديه خطان عرجا قليلاً ورداً هابطين فقوما
مفتل عضدى ساعديه كأنما أعيراً بقد ثم شدا فأبرما
فنيطت فضول الساعدين وأحكمت برصغين لزاً بالوصول فألحما
تضمن أظفاراً كأن حجونها حجون الصيامى أعجزت أن تقلما
له هامة لو أن كفاً رهيشة دحتها على صم الصفا لتهدما
وعينان لو تدنى إلى قبسيهما ذابلاً تذكى منهما وتضرما
وناباً لو يسطو الزمان على الورى بحديهما كان الحمام مقدما

وللناشئ الأكبر طردية فى الباز يصور فيها بهائه وما خلع الله عليه من ريشه فيقول :

ألبسه الخالق من ديباجه ثوباً كفى الصانع من نساجه
حال من الساق إلى أوداجه وشياً يحار الطرف فى إندراجه
فى نسق منه وفى إنعراجه وزان فوديه إلى حجابه
بزينة كفته عز تاجه وظفره يخبر عن علاجه
لو إستضاء المرء فى إدلاجه بعينه كفته عن سراجه

فالله كساه ثوباً من الديباج يملأ النفس إعجاباً بوشيه وخطوطه ونقوشه من ساقه إلى مفرقه وعلى رأسه وكأنما حلاه بتاج كتاج الملوك المتألق بزينته ، ويذكر مخلبه الحاد وعينه المضيئة كالسراج فى الليلة الظلماء .

وله كذلك طرديات فى الصقر منها قوله :

سباه من كان به خليقاً فرخاً صغيراً ما أقل موقا
زينه برأيه شفيقاً كما يصون العاشق المعشوقا
حتى إنتهى وحمل الحقوقاً ونفع الصاحب والصديقا

وهو يصور تدريب صاحبه له وكيف أنه رباه صغيراً وما زال يرعاه محباً له محبة العاشق لعاشقه وما زال يثقفه ويدربه على الصيد حتى مهر فيه حتى أصبح يجلب من الطير ما ينفع الأصحاب .

ثم أن الصقر :

شديد المراس قوى الأساس بعيد القياس قليل الفشل
هو الموت للظبى فى حاله إذا ما دن كفه الأجل

ومن قوله فى شاهين يصور جماله وألوان ريشه الزاهية وكأنه يلبس قباءً مفوقاً من الحرير أما منسره المنحنى كحرف الراء ليشبه شطر حاجب مقرون أو كأنه إنعطاف حرف النون :

يظل من جناحه المزين فى قرطق من خزه الثمين
يشبه فى طرازه المصون برد أنوشروان أو شيرين
ذو منسر محدد مسنون واف كشطر الحاجب المقرون

منعطف مثل إنعطاف النون

وفى الطردية التالية يصف طريقة صيد الغزلان بواسطة الصقور فيقول :

فعن لنا من جانب السفح ربرب　　على سنن تستن فيها الجآذر
فجلى وحلت عقدة السير فإنتحى　　لأولـها إذ أمكنتـه الأواخر
يحث جناحيه على حر وجهـه　　كما فصلت فوق الخدود المعاجر
فما تم رجع الطرف حتى رأيتها　　مصرعة تهوى إليها الخناجر

فقد ظهر قطيعاً من الغزلان لهم ورفع الصقر رأسه فحلوا عقد سيوره وأطلقوه فإتجه صوب الغزال الأول من القطيع وحط على رأسه وجعل يلطم وجهه ويلفه حول رأسه كما تلف النساء الخمر وصرعه صرعة واحدة .

وله طردية طريفة فى وصف صيد الطير بالبندق أو بالجلاهق صور فيها صيد الطائر الكركى فيقول :

ومورد يجذل قلب الوامق　　منظم بالغر والغرانق
وكل طير صافر أو نـاعق　　مكتهل وبالـغ ولاحق
موشية الصدور والـعواتق　　بكل وشى فاخر وفاتق
تختال فى أجنحـة خوافق　　كأنما تختـال فى قراطق
يرفلن فى قمص وفى يلامق　　كأنـهن زهر الحدائق
حمر الحداق كحل الحمالق　　كأنما يجلن فى مخانق

فهو يصور مورداً عذباً يسر الناظرين رصع بالكركى وأنواع الطير من صافرة وناعقة وقد وشيت فى صدورها وكواهلها بوشى بديع وإكتست أجنحتها بقراطق وأقبية أنيقة .

بل أنها لترفل فى كسوة ذات تلاوين وكأنها زهر حدائق مختلف الأصباغ والنقوش ، وهى هناك بأحداقها الحمر وجفونها المكحولة تطوق أعناقها القلائد الباهرة .

الصيد بالشباك :

وقريب منه قول أحدهم :

فإن كنت لا أدرى الظباء فإننى　　أدس لها تحت التراب الدواهيا

حيث صورة أخرى من طرق الصيد ، منها الشباك الظاهرة ومنها ما تدس فى أماكن متفرقة تحت التراب من الحديد ومنها الصيد بالنار وبالأصوات والصفير والصيد بالحفر التى تحفر للأسود .

وكان الخليفة المستنجد يتصيد بالشبكة فى أرض كثيرة الغزلان يقال لها الأحمرية .

وهذه الشبكة تقوم على أعمدة كما تقوم سقاف الخيمة ويكون بها زاوية طويلة إذا إنتهى الغزال دخل فيها ، ويكون فى تلك الزاوية أكمام إذا دخل الغزال فيها لا يقدر على الخروج إذا نطح الشبكة .

ويكون لها جناحان كلما جاءت أبعدت بعضها عن بعض إلى أن تأخذ من الأرض من البصر والخيل تحوى الغزال من كل جهة حتى إذا وجد الغزال له السبيل فى وسط الشبكة .

وهو الباب المفتوح دخل الجميع فيها أمر الصيادون الذين معهم طرفا الشبكة بأن يميلوا إلى الوسط .

وتكون أول الشبكة على بغلين عليهما غلامان عند الرأسين وفى كل جوكة من الجوكات التى يسار بها رجال ركبان ، كل رجل معه جوكة يمشى وراءه ببكرة إلى أن تلتقى الرأسان ، فإذا إلتقت الرأسان دقت خلف الجوك الأوتاد وخليت قائمة ودخل من يريد الصيد .

الصيد بالشراك والحبال :

ومن صور الصيد بالشراك فقولهم :

قد أغتدى قبل وجوب الفرض والجفن قد ودع طيب الغمض
طارقها فى قلق ونفض يضرب بعض ريشه ببعض

ومن صور صيد الظباء بالحبال قولهم :

لما غدا القانص فى غداته غدو معوار إلى غاراته
يحمل ما يحمل من أداته من شرك أونق أنشوطاته
وناط أوتاداً إلى حافاته تأنق الكاتب فى واواته
إذ الوهن على مشقاته يغتال والغيلة من عاداته

openkandil.com

ظبى فى فلاة القفر فى فلاتـه مبتغياً للصيد من مبتغياتـه
وقفت أستمتع من مرآتـه إن لذتى فى الصيد من لذاتـه
وإن علا همى من هماتـه فى ساعة غراء من ساعاتـه
وفى بماء السعد أعطياتـه ما كاد أن يلبث فى مرياتـه
حتى رأيت العفر من عنـاتـه محمومة الحين مقدراتـه
مشدودة الإسار موثقاتـه وقل من طفت بأفنياتـه
أو من رأى شخص فى حاجاته إلا إنكفأ بنيل أمنياتـه

الصيد بالقالة :

أما القالة وهى من جملة أدوات الصيد ولم تكن تعرف إلا فى العراق ، فيقول أبو الفراس الحمدانى فيها حين عاين أرنب فى مرقدها :

ثم أخذت عقب قالة كانت معى ودورت دورين ولم أوسع

ولم تخل بعض الطرديات من طرفة وفكاهة فإبن المعتز يرى أحد الصائدين يوجه بندقه إلى طيور مائية ولكنه لا يصيب منها طائراً واحداً فوجه حديثه إلى هذا الصائد الخائب قائلاً :

يا ناصر اليأس على الرجاء رميت بالأرض إلى السماء
ولم تصب شيئاً سوى الهواء هناك هذا الرمى يا إبن الماء

وهذا يلوم صائداً لا يدرى عن الصيد شيئاً :

وقلت لبعض من يلهج بالصيد وكان فيه محروما
ومواصل للصيد يسخط نفسه فى حبه وكأنه يرضيها
خابت جوارحه وأفلت كلبه عقر الظباء وغيره يحويها
واستأنست وحش الفلاة بشخصه ثقة بأن سهامه تخطيها
فترى الظباء رواتعاً من حولها قد أكثبته وليس يطمع فيها

وقال آخر :

تعول الجوارح أربابها وصقرك هذا عيال عليك
وتغدو فتصرف عنك السعود وأنحسها ناظرات إليك
وترجع رجعة من لم يفز بصيد ويفلت ما فى يديك

مصنفات إبن المعتز فى الصيد :

وكما ذكرنا فإن عبدالله إبن المعتز صنف كتاباً فى جوارح الصيد ومن قوله فى وصف باز من بازاته :

بمقلة تهتك أستار الحجب كأنها فى الرأس مسمار ذهب
يعلو الشمال كالأمير المنتصب أمكنه الجود فأعطى ووهب
ذو منسر مثل السنان المختضب وذنب كالذيل ريان القصب
كأن فوق ساقه إذا إنتصب من حلل الكتان راناً ذا هدب

فالباز يقف رافعاً الرأس كالأمير يوزع عطاياه ويهب ما يصيده ، ومنسره كسنان الرمح المخضب بالدم من كثرة ما يصيد ، أما ذنبه فهو كالذيل الزاهى بريشه وكأن فوق ساقه ثوباً أبيض من الكتان تسترسل أهدابه .

وله فى باز آخر قوله :

فارس كف مائل كالإسوار ذو جؤ جؤ مثل الرخام المرمار
أو مصحف منمنم ذى أسطار ومقلة صفراء مثل الدينار
ترفع جفناً مثل حرف الزنار ومخلب كمثل عطف المسمار

فالباز فارس كف لأنه يحمل على الكف عادة ، وصدره كالرخام الناعم أو كالمصحف المزخرف ومقلته مثل الدينار صفراء وجفنه مثل الزنار الذى كان يضعه النصارى قديماً حول أوساطهم تمييزاً لهم عن غيرهم ، أما مخلبه فمثل عطفة المسمار .

وكون الباز فارساً يحمل على الكف كثير فى أشعار العرب فيقول كشاجم :

لما أجد الليل فى إنحيازه ولاح ضوء الصبح فى إعجازه
دعوت سعداً فأتى ببازه تحمل يسراه على قفازه

ولإبن المعتز فى هذا الجانب وفى وصف الصيد بالبيدق طردية أخرى يقول فيها :

يا كفاً ما خيبت إذ غدوت بباشق يعطيك ما إبتغيت
لا يتقيه هارب بفوت سهم مصيب كلما رميت
مؤدب مسرع إن دعوت لا عيب فيه غير عشق الموت

وفى طردية أخرى يركز على أبصار البزاة الثاقبة فيقول :

ومقلة تصدقه إذا رمق كأنها نرجسة بلا ورق

ومن طردية له فى وصف صقر ماهر فى تعقب طريدته وإنقضاضها عليه بمخلبه الحاد يخزها ويطعنها مسيلاً لدمائها فيقول :

وأجدل أحكم بالتأديب سوط عذاب واقع مجلوب
يهوى هوى الماء فى القليب ما طار إلا لدم مصبوب

ومثل قوله أوقريب منه ما قاله أحدهم فى صفة الصقور وقدرتها على الصيد :

صقور البلاد صقور جياد وأوفى الصقور صقور العجم
غطاريفها فهى شبه القرود تصيد الكراكى وتعفو الرخم

إلى أن يقول :

كثير الطراد قريب المعاد عديم السهاد قليل الندم
شديد الكفوف قليل الوقوف يزين الألوان إذا ما إلتزم
يصيد الكبير ويطوى الصغير ويشنى الحقير ويبدى الكرم

أما فرس إبن المعتز رفيقه فى رحلة الصيد فوصفه فى إحدى طردياته بقوله :

قد أغتدى والصبح كالمشيب فى أفق كمداك الطيب
بقارح مسوم يعبوب ذى أذن كخوصة العسيب
أو آسة أوفت على قضيب يسبق شأو النظر الرحيب
أسرع من ماء إلى تصويب ومن رجوع لحظة المريب

ومن قوله فى الصيد بالفهد :

قد أغتدى قبل غدو بغلس وللرياض فى دجى الليل نفس
حتى إذا النجم تدلى كالقبس قام النهار فى ظلام قد جلس
بلاحق الوثبة ممتد النفس محملج أمر أمرار المرس
نعم الرديف واقفاً فوق الفرس ينفى القذى عن مقلة فيها شوس
كالزلم الأصغر صك فإنملس عليه تلويحات وشم ما دوس
لما خرطناه تدلى وإنغمس وخادع الموت ابن وثاب خلس

إذا عدا لم ير حتى يفترس

ومن قوله فى كلبة ماهرة فى الصيد :

قد أغتدى والليل كالغراب داجى القناع حالك الخضاب
بكلبة تاهت على الكلاب تفوت سبقاً لحظة المرتاب
تنساب مثل الأرقم المنساب كأنما تنظر من شهاب

بمقلة وقف على الصواب

فهو يخرج بكلبته وقت السحر والليل داج تصحبه كلبة تياهة على الكلاب بسرعتها الخارقة وهى تنساب زاحفة كأفعى مسرعة لا تلوى ناظرة لا بعين لماحة وإنما بشهاب قبس لا تخطئ الصيد أبداً .

وفى طردية يتحدث عن ضمور كلاب الصيد ومتانة أعضاءها ورهافة سمعها وحدة براثنها ونشاطها الملحوظ وسرعتها حين تعدو فيقول :

ومخطف موثوق الأعضاء ذى أذن ساقطة الأرجاء
كوردة السوسنة الشهلاء وبرثن كمثقب الحذاء
ومقلة قليلة الأقذاء صافية كقطرة من ماء
تنساب بين أكم الصحراء مثل إنسياب حية رقطاء

ويمضى على شاكلته على بن الجهم فيقول :

وطئنا رياض الزعفران وأمسكت علينا البزاة البيض حمر الدراج
ولم تحمها الأدغال منا وإنما أبحنا حماها بالكلاب النوابج
بمستروحات سابحات بطونها على الأرض أمثال السهام الزوالج
ومستشرقات بالهوادى كأنها وما عققت منها رؤوس الصوالج
ومن دالعات ألسناً فكأنها لحى من رجال خاضعين كواسج
فلينا بها الغيطان فلياً كأنها أنامل إحدى الغانيات الحوالج
قرنا بزاة بالصقور وحومت شواهيننا من بعد صيد الزمامج

وهو يصور الصقور والكلب تصويراً رائعاً فمنقار الصقر كأنه صولجان والكلاب حين تدلع ألسنتها لاهثات كلحى مرسلة على الذقون .

وله فى وصف فهدة قوله :

ولا صيد إلا بوثابة تطير على أربع كالعذب
فإن أطلقت من قلاداتها وطار الغبار وجد الطلب
فزوبعة من بنات الريح تريك على الأرض شيئاً عجب
تضم الطريد إلى نحرها كضم المحبة من لا يحب

فأرجلها كالخيوط من خفة حركتها ، ولما تطلق من قلائدها ويجد الطلب لفريستها ويعلوها الغبار لسرعة عدوها كأنها عاصفة هوجاء يملؤك عجباً .أما إذا صارت إلى الفريسة وضمتها إلى نحرها كضم المحبة من لا يحبها .

طرديات أبى نواس :

ويعد أبونواس من أكثر شعراء الطرديات فى العصر العباسى وأكثر طردياته تدور أيضاً حول صيد الكلاب وفيه يقول :

أنعت كلباً ليس بالمسبوق مطهماً يجرى على العروق
جاءت به الأملاك من سلوق كأنه فى القود المشوق
إذا عدا عدوة لا معوق يلعب بين السهل والخروق
يشفى من الطرد جوى المشوق فالوحش لو مرت على العيوق
أنزلها دامية الحلوق ذاك عليه أوجب الحقوق

ولكل صياد به مرزوق

لقد كان إهتمام أبى نواس بوصف كل جارحة من جوارح كلاب الصيد لكن إهتمامه الأكبر كان بسرعته كما رأينا وكما يتبدى فى وصف سرعة كلب يدعى سيرياح فيقول :

ما البرق فى ذى عارض لماح ولا إنقضاض الكوكب المنصاح
ولا إنبتات الدلو بالمتاح ولا إنسياب الحوت بالمنداح
حين تتأمن راحة السباح أجد فى السرعة من سيرياح

ويواصل أبى نواس وصف رحلات الصيد فى أرجوزته :

لما تبدى الصبح من حجابه كطلعة الأشمط من جلبابه
وإنعدل الليل الى مآبه كالحبش أفتر عن أنيابه

هجنا بكلب طالما هجنا بـه ينتسف المقود من كلابـه
تراه فى الحضر إذا هابـه يكاد يخرج من إهابـه

ويرثى ابو نواس كلبه :

يا بؤس كلبى من الكلاب قد كان أغنانى من العقاب
وكأن قد أجزى عن القصاب وعن شراء الجلب الجلاب

وبعد أن يذكر ما كان لذلك الكلب من فضل يمضى فيحكى قصة مصرعه بسم الحية فيقول :

فبينما نحن فى الغاب إذ برزت كالحة الأنياب
رقشاء جرداء من غير الثياب كأنما تبصر من نقاب
فعلقت عرقوبه بناب لم ترع لى حقاً ولم تحاب
فخر وإنصاعت بلا إرتياب كأنما تنفخ من جراب

ووصف أبونواس إضافة إلى الصيد بواسطة الكلاب الفهد والبازى والصقر والفرس فى نحو خمسين طردية تتميز كلها بالجودة ، فمن تمجيده للصيد بالصقور قوله :

لا صيد إلا بالصقور اللمح كل قطامى بعيد المطرح

وفى وصف فهدته الضارية على الصيد والإقتناص يقول :

رقم ديابيج على أثوابها مخطفة الكشحين فى إضطرابها
كأنها القناة فى إنتصابها والحية الرقطاء فى إنسيابها
وسرعة العقاب فى إنصبابها وتارة كالليث فى وشابها
فأبصرت من حيث يممنا بها عفر الظباء وهى فى أسرابها
فذهبت تنسل فى طلابها تأكل وجه الأرض فى ذهابها
فنحن فى عيش من إكتسابها ولذة ونعمة نعنى بها

وقال آخر فى صفة الفهد والطريدة :

بذلك أبغى الصيد طوراً وتارة بمخطفة الأكفال رحب الترائب
مرققة الأذناب نمر ظهورها مخططة الآذان غلب الغوارب
مدربة زرق كأن عيونها حواجل تستذرى متون المراكب

طرديات إبن الرومى :

ولإبن الرومى الكثير من الطرديات فيقول مصوراً صيد أصحابه للطير وقد تقلدوا أوعية حمراء من جلد أودعوها كثيراً من البندق الذى يرمى به وقد أشرعوا أقواسهم مسددين البندق منها للطير الهاجع وقت السحر :

وجدت قسى القوم فى الطير جدها فظلت سجوداً للرماة وركعا
طرائح من بيض وسود نواصع تخال أديم الأرض منهن أبقعا
فكم ظاعن منهن مزمع رحلة قصرنا نواه دون ما طان ازمعا
وكم قادم منهن مرتاد منزل أناخ به منا منيخ فجعجعا
هنالك تغدو الطير ترتاد مصرعا وحسبانها المكذوب ترتاد مرتعاً
مباح لراميها الرماية كأنما دعاها له داعى المنايا فأسمعا
لها عولة أولى بها ما تصيبه وأجدر بإلاعوال من كان موجعاً
وما ذاك الا زجرها لبناتها مخافة أن يذهبن فى الجو ضيعا
وظل صحابى ناعمين ببؤسها وظلت على حوض المنية شرعا

وفى وصف إبن الرومى حيوية خفاقة فالطير ما لبثت ساقطة ساجدة وراكعة ، منها ما هو فى سبيله إلى الهبوط وهى مطروحة على الأرض أبيضها وأسودها وكأنما صارت الأرض أديماً مخططاً .

ثم كم من طائر كان يريد الإرتحال فحالوا بينه وبين مقصده وكم من طائر أراد المقام سقط دون تحقيق أمنيته وهو يصرخ مثل البعير عند إناخته .

لقد كان يأمل المرتع الخصب فإذا هو يلاقى مصرعه وكأنما دعاه ورفاقه من الرماية داعى الموت ، والطير تعول غير متنبهة للرمى والرماة خوفاً على بناتها من أن تضل الطريق فى الجو حين تترامى على حياض الموت .

إنه بؤس ما بعده بؤس فى حين الصائدون يعيشون نعيماً ما بعده نعيم .

هذا النعيم يجسده بصورة أوضح صفى الدين الحلى وهو يهنئ الملك المؤيد بالقدوم من الصيد ظافراً غانماً مؤكداً على مهارته وشجاعته ، فيقول :

جاء من صيده السعيد كبدر ما رأى الطرف فى السناء مثاله
كم غزال فلو أمن الشمـ ـس من الخوف ما تسمت غزاله

ولعمرى لو إستجار به الوحـ ش بعدمـا إستقلت نبـاله
أيد الله ملكـه ووقـاه وحمى سربه وصان جـلاله

طرديات الصنوبرى :

وللصنوبرى طرديات مختلفة منها قوله فى وصف باز :

ذو منسر أقنى ورسغ كز ومخلب لم يعد إشفا الخرز
مسربل مثل حبيك القز أو مثل جزع اليمن الأرزى
لما لززنا الطير بعد اللز بأسفل القاع وأعلى النشز
آب لنا بالقبج والأوز من جبل صلد ومرج نز

نراه يصور منسر الباز ومخلبه الحاد التى ينقض بها على الطير فلا تستطيع منه فكاكاً ويصور ريشه كأنه الحرير والطير منتشرة فى القيعان وعلى المرتفعات وقد آب منها بالكثير من الحجل والأوز .

ومن طردية قوله فى وصف جواده الذى يركبه للصيد وقد جن جنونه من السرعة الهائلة وكأنه حاقد على الفضاء أما يد الصنوبرى فكأنها منبر للشاهين الذى سيطلقه على طير الماء :

كأنما مخلبه لأذن الطير قرط

كأنه سهم مارق لا يكاد يرتد البصر حتى يأتى بصيد ويتركه إلى وصف ما معه من كلاب الصيد مصوراً سرعتها هى الأخرى وهيئتها وإنقضاضها على فرائس الصيد من الغزلان وغيرها :

موكلات بالفلا يطوينها طى البسط
كأنما آذانهن سوسن لم يجن قط
كأنما أجفانها عن قطع الجمر تعط

ومن طردية أخرى فى وصف كلابه يوماً وما صادت من الوحش :

يا روضة من حلل ما خاطها خياط
الوحش فى أرجائها قبائل أخلاط
غاديتها ولم يقم أعلامها الغطاط
بأكلب لو لم تطر أطارها النشاط
فجئن والطل على آذانها أقراط

إنبسطت كالشهب لا يعجزها إنبساط
وطفقت والوحش فى فجالها بساط
صرعى تشق قمصها عنها ولا تخاط

فالروضة وما إنتشر فيها من الأزهار وما إمتلأت به من وحوش وأنه باكرها قبل أن يستيقظ القطا وغيره من الطيور مرسلاً عليها كلابه التى تكاد لسرعتها تطير طيراناً غير آبهة ببرودة الطقس ، وما قرط به آذانها من الندى فقد إنتشرت كالشهاب الساطع تصرع كثيراً من الوحوش وتشق عنه جلده وتمزقه تمزيقاً فلا يمكن رتقه .

صيد البحر :

وكما يعرض لصيد البر يعرض لصيد البحر بإنشوطة شبيهة بالأظفار وبالشبكة وعيونها العديدة فيقول :

أفضل ما أعددته من العدد وما حوى صبحى به من غنى الأبد
بنات قين حاز فى الحذق الأمد على مقادير مخاليب الصرد
لها رءوس فى أعاليها أود كمثل أنياب الأفاعى وأحد
عجنا بها من حيث ما عاج أحد فى ظل صفصاف علينا قد برد
شاطئ نهر لابس درع زبد ولم تزل ترسل طوراً وتمد
ثم بعثنا ألف عين فى جسد فجئنا بمثلهن فى العدد

ألف من الحيتان ببعض كالبرد

وصورة أوضح لوصف الشبكة :

وجدول بين حديقين مطرد مثل الحسام القين
كسوته واسعة القطرين تنظر فى الماء بألف عين

وفى صيد البحر بالشبكة نقرأ :

كأن يدى الصياد إذا ظفرت به مجردة منها سناناً مفضضاً

وفى صيد البحر أيضاً يقول كشاجم :

من كان يحوى صيد الفضاء فإن صيدى ما حوى الماء
وطال بالكلب لـه العنـاء وللبزاة عنده ثواء
بمخلب ساعده رشاء يظل والماء له عظاء
كما طوت هلالها السماء كأنـه من الحروف راء
وهو ونصف خاتم سواء يحمل سماً إسمه غذاء
وعطياً فيه لنا إجناء تدمى به القلوب والأحشاء
غاد إذا ساعده القضاء أمتعنا القريش والشواء

وقال إبن الرومى فى صيد البحر :

إعلم وقيت السوء إنك فى قصر تليه مطارح الشبك
وبنات دجلة فى فنائكم مأسورة فى كل معترك

وقال أحدهم :

يا رب سرب من أوز ريع فى صخب الحوت برود المكرع
فهن بين حسوم ووقع من كل محبوك السراة أروع

وقد قيل فى إختيار الصيادين لأنواع الصيد :

يارب نهر متأق ملآن حم المدود معمر معان
من كل مختار من الحيتان الزجر والشبوط والبنان
كالطلع مجنياً من الجنان أو كقدود أذرع الغوان
مكسوة من صنعة الرحمن مثل درع السادة الفرسان

الصيد فى الأندلس :

وإتخذ العرب فى الأندلس قصوراً شامخة كقصور الزهراء خارج قرطبة وكانت موئلاً للوحوش ومحلات للصيد فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارحاً للطيور مظللة بالشباك .

ومن عجيب ما كان فيها أيضاً بحيرات من المرمر يتفجر ماؤها من أفواه طيور من الذهب وكان يحيط بالبحيرات تماثيل سود من الذهب ينزل الماء من أفواهها إلى بساتينها .

وكان فى أبهائها الكبرى صوراً ورسوماً لمناظر الصيد من حمر وحشية وسباع

وغزلان وطيور مختلفة بيد أن الحريق أتى على مبانيها زمن المهدى بن هشام بن الحكم وقضى على باقيها القوط بعد إستيلائهم على المدينة .

وصوراً لصقور على الرايات والأعلام فى قصور قرطبة وهى تستقبل بنى إدريس على ما يرويه إبن حيان فى مقتبسه .

وكان عرب الأندلس مما يعنون بتربية كلاب الصيد ورعايتها فقد ذكر لسان الدين بن الخطيب فى ترجمته للبرميخو Bermejo أحد ملوك بنى الأحمر أنه كان : " قواد عصبة من كلاب ، معالجاً لأمراضها مباشراً للصيد بها " .

ولإبن الخطيب شعراً يصف فيه صيد الكلاب لفحول الأبقار الوحشية يقول فيه :

وطاردت مقدام الصوار بجارح يصاب به منه الصماخ أو الإبط

متين الشوا فى رأسه سمهرية مقصرة عنهن ما ينبت الخط

وقد كان ذا تاج فلما تعلقا بسامعتيه زانه منهما قرط

(الصيد فى الأندلس)

طردية أبى فراس الحمدانى :

ونختتم ما قيل من أشعار العرب عن الصيد وطرقه وأدواته فى عصره الزاهر بطردية شاملة جامعة قالها أبو فراس الحمدانى :

أنعت يوم مر لى بالشام ألذ ما مر من الأيام
دعوت بالصقار ذات يوم عند إنتباهى من نومى
قلت له إختر سبعة كبارا كل نجيب يرد الغبارا
يكون للأرنب منها إثنان وخمسة تفرد للغزلان
وإجعل كلاب الصيد نوبتين ترسل منها إثنين بعد إثنين
ولا تؤخر أكلب العراض فهى حتف للظباء قاض
ثم تقدمت إلى الفهاد والبازيارين بإستعداد
وقلت إن خمسة لتنفع والزرقان الفرخ والملمع

ولابد أننا قرأنا فى عهد المنصور الموحدى عن ترجمة القائد محمد بن عبدالملك بن سعيد الغرناطى الذى كان يخرج للصيد فيسمع لركبه دوى جلاجل البزاة ومناداة الصيادين ونباح الكلاب .

وأن السلطان أبا الحسن المرينى أهدى للملك الناصر فى مصر تشكيلة من البزاة والصقور بلغت أربعة وثلاثين طيراً .

كما يظهر فى زخارف الأثار الفنية التى صنعت لحاشية الخليفة صوراً عديدة للصيد بالباز وتقويم قرطبة لسنة٩٦٨ م يعكس معرفة مفصلة للمراحل المختلفة من عملية تناسل الصقور .

وتوالى العديد من الولاة على حكم مسلمى المغرب ففى القرن ٩ م قام الأمير الأغلبى محمد الثانى من مدينة القيروان بسحب الأموال من خزينة الدولة لتعويض نفقات الصيد بالطيور .

وكان السلطان أباعبدالله المستنصر فى القرن ١٣ م يمارس رياضة الصيد فى المحمية التابعة له التى تقع بالقرب من مدينة بنزرت .

فقد أدار سياجاً على بسيط من الأرض قد خرج نطاقه عن التحديد بحيث لا يراع فيه سرب الوحش .

فإذا ركب للصيد تخطى ذلك السياج فى جمع كثيف من مواليه معهم الزاة والصقور والكلاب السلوقية والفهود فيرسلونها على الحيوان وقد وثقوا بإعتراض السياج لها .

الصيد فى العصر الطولونى :

وفى العصر الطولونى يذكر عن خمارويه أنه بنى فى داره بيوتاً للأسود، ومن شدة ولعه بالصيد أنه كان يخرج فى جهة الأهرام وغيرها ولايكاد يسمع بأسد إلا قصد ناحيته .

وفى النجوم الزاهرة لإبن تغرى بردى أن أحمد بن طولون ولع بممارسة رياضة الصيد ويحكى عنه : " ولما كان فى بعض الأيام ركب ليصطاد بمصر فغاصت قوائم دابته فى الرمل فأمر بكشف ذلك الموضع فظفر بمطلب فيه ألف ألف دينار فأنفقها فى أبواب البر والصدقات " .

الصيد فى العصر الفاطمى :

أما الخلفاء الفاطميون فجعلوا من الصيد علماً يدرس وله قواعده وأصوله ، وكان الخليفة الفاطمى العزيز بالله شغوفاً بجوارح الطير الغريبة وبصيد الأسود حتى عرف بالخليفة الصياد ، وجلبت له الحيوانات من السودان ومن أنحاء شتى وتسلط رسوم الفهود التى تزين أبريق البللور الذى يعود لهذا العصر الضوء على المكانة التى يتمتع بها الفهد فى الأوساط المميزة .

وكان الحافظ لدين الله يصطاد بالجوارح من البزاة ، وكان للبيازرة فى عهده حارة بإسمهم كما خصص دار عرفت بدار الطيور .

الصيد فى العصر المملوكى :

وإعتاد سلاطين المماليك على الخروج للصيد ، فكانوا يشكلون حلقة كبيرة حول الحيوان ، ولقد ثابروا على الإهتمام بعلم الجوارح وصار القائم بهذا الأمر من الوظائف الكبرى فى الدولة .

وكان الخروج للصيد يتم عادة فى فصل الربيع ، ومن الأماكن التى إرتادها

المماليك جهة الأهرام حيث توجد الغزلان والكراكى .
وكان إذا خرج السلطان تصحبه جماعة خاصة على رأسها أمير الصيد المعروف بـ (أمير شكار) وكان يعين من المئتين ثم صار يعين من أمراء الطبلخاناه ، وكان يكلف أيضاً الإشراف على طائفة البازدارية ، وطائفة الحواندارية وأصلها (دار الحيوان) .
وإذا خرج السلطان للصيد بالكلاب فكان يصحبه من الكلابزية وقد بلغوا فى ذلك العصر نحو خمسين جوقية إتخذت لهم بيوتاً فى الجبل ، وكان المكان الذى يجتمع فيه السلطان مع هواة الصيد يعرف بإسم (الشكار خاناه) .
ومن الأحداث المهمة أن السلطان المظفر قطز بعد أن هزم التتار فى عين جالوت وأثناء عودته إنحرف للصيد عند القرين فرأى أرنباً فمضى نحوه ومعه عدداً من الأمراء الذين كانوا إتفقوا على قتله ، وقتل قطز وهو يصطاد .
وكان الظاهر بيبرس مهتماً بكلاب الصيد وبطيور الصيد على إختلاف أنواعها فعين لها البازدارية للعناية بها .
ويحكى أنه خرج للصيد سنة ١٤٢٤ م إلى بلاد الشام وهو فى العريش ضرب حلقة بثلاثة آلاف فارس فوقع فيها صيد وفير .
ومما يدل على شدة شغف الظاهر بيبرس بالصيد أنه كان يحرص حتى فى وقت حروب التتار على الخروج فركب إلى غابة أرسوف للصيد ونادى فى الأمراء من أراد الصيد فليلحقه فإن الغابة كثيرة السباع .

الإنتساب فى رياضة الصيد :

والجدير بالذكر أن الأمير فخر الدين عثمان بن الملك الغيث ملك الكرك إنتسب إلى السلطان الظاهر بيبرس وإعتبره أستاذه فى الصيد ، ذلك أن العادة فى دوائر الصيد فى العصر المملوكى تقتضى بأن المبتدئ لا يدخل فى زمرة هواة الصيد إلا بعد الإنتساب لأحد الصيادين القدامى .
وكانت وسيلة الإنتساب أن ينجح المبتدئ فى إصابة رميته من طير أو حيوان ، وعند ذلك يختار الإنتساب إلى من يشاء من الصيادين سلطاناً كان أو أميراً أو عامياً .

وكان السلطان الأشرف صلاح الدين خليل مولعاً هو الآخر بالصيد إذ خرج سنة ١٣٩٢ م إلى حماة وضربت خيمته فى شمالها عند ساقية سلمية ثم توجه منها إلى الزرقاء بالبرية فصاد شيئاً كثيراً من الغزلان والحمر الوحشية .

وكان يصطاد بالأسود ولا يصطحب معه فى رحلاته إلا من يختار من خاصته والملك الأفضل نور الدين الذى كان يعجب بخبرته بأمر الفهود والصيد ، حتى أنه دعاه للحضور إلى مصر فى موسم الصيد ليصحبه فى رحلاته .

ويذكر أن الأمير أنص بن السلطان العادل كتبغا كان يصطاد بالرغم من كونه أعمى وكان لا يظن أحد أنه أعمى لمهارته فى إرسال الجوارح .

وكان السلطان منصور لاجين يغيب فى الصيد شهوراً مصطحباً معه أرباب الملاهى ، وقد وجد فى قصره سنة ١٣٨٩ م وفق رواية الدميرى من الغزلان والكراكى والغرانيق والنعام والحمار الوحش والبط الصينى والخرفان البشموريات ما لا يحصى لوفرته .

أما هواة الصيد بالليل فلم نعلم من السلاطين ركب للصيد فى بركة الحاج سوى المؤيد شيخ الذى كان يرمى الطيور بها ولم يقعده المرض عن ممارسة رياضة الصيد .

وكذا السلطان برسباى الذى خرج من باب القنطرة للصيد وبات ليلته فى الصيد وعاد من غده .

ويبقى أن نشير إلى رسالة أوردها القلقشندى وهى تصف إحدى رحلات الصيد للسلطان قلاوون ، كتبها تاج الدين البارنبارى وقد أوضحت بصورة جلية لرحلات الصيد فى ذلك العصر وآلاته وأساليبه وأوقاته وأنواع الصيد ، إلخ .

ويروى الرحالة بومجارتن **Baumgarten** الذى زار مدينة القدس فى أواخر سنة ١٥٠٧ م أنه جرت عادة كثير من الناس هناك الخروج إلى بركة سلوان حيث يمارسون رياضتهم المفضلة وهى صيد الطيور .

ويقول : " هناك كانت لدينا الفرصة لكى نشاهد طريقة الصيد والتى لم نرها من قبل لأنهم لا يصيدون الطيور كما نفعل نحن عن طريق الصقور والشواهين ولكن عن طريق المياه التى تصب على الصخور .

ولأن هذه البلاد جافة جداً والطيور عندما تطير فى الجو تكون مستعدة لأن تهبط فجأة بسبب العطش وعندما ترى المياه تلمع خلال أشعة الشمس المتساقطة عليها فإنها تتجه نحوها مباشرة وقبل أن تصل الطيور إلى المياه لتشرب تكون قد وقعت فى أيديهم عن طريق الشراك التى ينصبونها " .

مناظر لرياضة الصيد :

وتعد حشوات مارستان قلاوون فى مقدمة التحف الخشبية التى حفر عليها بإسلوب الحفر البارز مناظر لرياضة الصيد .

ومن ذلك صورة لفارس يصطاد فهداً ، ويظهر الفارس وقد أفزع جواده وإنطلق يقفز هارباً فى ذات الوقت الذى إلتفت خلفه ليطعن الفهد بحربة فى يده .

وصورة أخرى لصياد قد أمسك بالحربة فى مواجهة مع فهد فى حين يتقدم الفهد غير هياباً للصياد أو بحربته ، وحشوة خشبية تمثل أسداً ينقض على غزال بكل قوة وتعود للقرن ١١م .

كما وجد على حجاب هيكل كنيسة القديسة بربارا Barbara ويعود للعصر الفاطمى زخارف تتضمن مناظر لرياضة الصيد بالإضافة إلى موضوعات متنوعة قوامها فروع نباتية تقوم بينهما صوراً أدمية ورسوم حيوانات فى حالة قنص أما الركنان فيوجد فى كل منهما دائرة تضم رسماً لفارس يصطاد بالباز وعلى قبضة يده طائر جارح على وشك الإنطلاق ، ويوجد فى حشوات حجاب هيكل الكنيسة هذا رسوم أخرى لصيادين ومع كل واحد بازاً يصطاد به .

(حجاب هيكل القديسة بربارا)

ومن بين الصور الموجودة أيضا صورة لصراع بين إنسان وأسد ، وصورة لسلطانية تخرج منها فروع نباتية فوقها لبؤتان تولى كل منهما ظهرها للأخرى ، وفوقهما طاووسان متواجهان .

كما يوجد فى بعض حشوات الحجاب رسم لحيوان ينقض على فريسة ، وصورة لفارس ومعه حيوان الصيد الذى يجلس خلفه على رجليه الخلفيتين بالإضافة إلى حشوة أخرى تمثل فارسين ومعهما حيوان الصيد فى وضع متقابل بينهما زخرفة نباتية والحيوانات تهرب من أمامهم .

وهناك أيضاً طبق من الخزف ذى البريق المعدنى يعود للقرن ١٢ م ويوجد بداخله منظراً لصياد يمتطى صهوة جواده ويمسك بيده اليسرى بازاً أجنحته مفرودة .

وهناك جزءاً من طبق من الفخار المطلى بالمينا يشاهد فيه منظراً لصياد ممسكاً سيفاً بيده اليمنى .

بينما رسم بعناية فائقة على يده اليسرى بازاً ربما يعود للقرن ١٤ م .

وإلى نفس هذا العهد جزء آخر من طبق من الفخار المطلى بالمينا أيضاً وفيه منظر صيد لطائر يهاجم حيواناً .

كما ظهرت رياضة الصيد على بعض صور الأباريق البلورية ، منها صورة تمثل حيوان الصيد جالساً على رجليه الخلفيتين أمام فرع نباتى ، وأبريق ثالث يظهر عليه صقر ينقض على غزال .

كما ظهرت مناظر الصيد على مبخرة من النحاس المكفت بالذهب والفضة تعود للقرن ١٤ م وتشتمل على صورة لفارس يمسك بترس وبيده كلب الصيد أسفل أرجل الفرس .

ومنظراً آخر يمثل فارساً وهو يقتل حيواناً بسيفه ، ومنظراً يمثل فارساً يقتل حيواناً وبجانبه يقف طائر الصيد .

ومن التحف المعدنية الأخرى التى يحتفظ بها متحف الفن الإسلامى بالقاهرة والتى صور عليها مناظر الصيد شمعدان من النحاس المكفت بالذهب والفضة ، وطست من النحاس المكفت بالذهب والفضة .

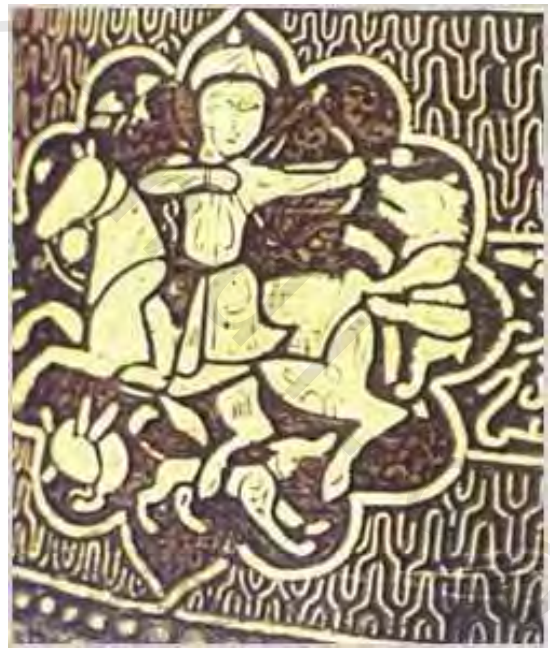

وصدرية من النحاس المكفت بالذهب والفضة ، ومبخرة من النحاس المكفت بالذهب والفضة .

وطست مصنوع فى مصر حوالى القرن ١٤ م من النحاس المكفت بالفضة محفوظ بمتحف اللوفر Louvre يعرف بمعمدانة سانت لويس . Baptism St Louys لأنه إستعمل فى تعميد لويس الثالث عشر ثم نسب إلى لويس التاسع ملك فرنسا الذى أخذه معه عند عودته من الحروب الصليبية .

وقوام زخرفته مجموعة مناظر من البلاط السلطانى المملوكى للصيد والقتال والحياة اليومية من بينها رسوم لمجموعة من الصيادين يحمل ثلاثة منهم بازاً على حين يمسك الرابع بمقود فهد فى يده اليمنى كما تظهر صور رياضة الصيد على بعض التحف العاجية منها حشوة خشبية مطعمة بالعاج تعود للقرن ١٢ م حيث يظهر عليها صورة لصياد يتقدم لطعن أسد بحربة فى حين يتقدم منه الأسد وكأنه لا يخاف الحربة .

وفى صورة ثانية على حشوة أخرى يظهر صائداً بالباز وقد إعتلى صهوة جواده وحمل الباز على ذراعيه ، فى حين يظهر آخر وهو يهم فيمسك بالفريسة بينما يظهر كلب صيد جالساً خلف صاحبه على الجواد الذى يبدو أنه يعدو بسرعة .

كما يحتفظ متحف اللوفر بعلبة عاجية أندلسية عليها مناظر الصيد ، وتظهر صور الصيد حيث منظراً لصياد وقد حمل الباز على يديه ووقف ساكناً ويبدو طائر الصيد على يده وهو فى حالة سكون أيضاً .

وعلى غطاء علبة زياد بن أفلح من العهد الأندلسى أيضاً وهى محفوظة بمتحف فكتوريا وألبرت .

وعلى غطاء صندوق عبدالملك بن المنصور المحفوظ بمجموعة الكونتيسة دى بهاج Countess De Buaag .

كما تظهر مناظر للصيد على الأكرات الخاصة بالألعاب الورقية حيث ظهر على أحد الأكرات منظراً لصياد فوق جواده وقد أمسك بيده اليسرى بازاً ويتقدم وكأنه خارجاً لرحلة صيد .

كما شغلت المنسوجات فى العهد الإسلامى بصور الصيد حتى كانت تسمى مناظر الصيد على المنسوجات الحريرية بإسم (نسيج طرد وحش) .

ورسم الصيد فى صورة الغرة فى مخطوط من كتاب (الترياق) المحفوظ حالياً فى

(مكتبة فيينا الوطنية) تمثل منظر البلاط الملكى فى الموصل ويعود تاريخها إلى أواسط القرن ١٣ م .

وإحتل منظر الصيد فى الجهة العليا من الصورة ، أما فى الجهة السفلى فيمثل جماعة من الهجانة يمتطون جمالاً .

الصيد فى الأدب المملوكى :

ومن أدبيات العصر المملوكى فى الصيد نقرأ من أشعارهم :

فتارة كنت أصيد النسرا وبعده العقاب العقاب يحكى الجمرا
والكى والكركى صدت جهرا وصدت غرنوفاً وعنزاً فهرا

وكنت بالأوز فى إنشراح

وتارة تماً كبدر التم تتبعه أنبسة كالنجم
ولغلغ أسود مل الهم وحبرح عن الرماة محمى

وأنضوع من سبيطر سياح

وكم وكم صدت بوماً مرزما أنزلته بالقوس من جو السما
جناحه يحكى طرازا معلما على بياض شبه الدما

كأنه ليل على صباح

حيث الصبا تشفع بالقبول وشملنا يجمع بالشمول
فى مجلس ليس به فضولى وجاءنا التوقيع فى الوصول

فسادكم يغفر بالصلاح

وأبيات لسراج الدين الوراق فى وصف رحلة صيد للملك الصالح علاء الدين يقول فيها :

عزمة صح فالها بالنجاح بين ذى مخلب وذات نجاح

obeikandl.com

من فهود ومن صقور حداها يمنها فى غدوها والرواح
أرسلتها سعادة الملك الصالح فإستقبلت وجوه الصلاح
ملك ضرج الثرى بدماء حملت رنكها خدود الملاح
كل يوم من صيده عيد نحر فى وحوش وفى عدى كالأضاحى

وكانت المهارة فى الصيد قد شدت إنتباه الشاعر بهاء الدين أبوالحسن صاحب ديوان الإنشاء بحلب فأنشد فيمن رمى فى وقت نعامة ونسراً وغزالاً قائلاً :

عجباً رأيت وما سمعت بمثله فى عصرنا هذا ولا فى الأول
بطلاً من الأتراك فوق سهمه مستعجلاً من فوق طرف الهيكل
ودنا إلى نحو النعامة راجياً أن سوف يدركها وإن لم يعجل
فأتاه نسر طائر من فوقه متوقع سهم الحمام المرسل
فرماه سهما منكياً فى نحره ورمى النعامة ثانياً فى المقتل
وآت الغزال وقد تيقن أنه ناج فأصماه بسهم فيصل
وهوى الثلاثة قادراً بسعادة حكمت له بسيادة وتوقل

وفى قصيدة من الشعر النبطى لشاعر يدعى النابغة بن غنام يمدح فيها محمد بن أجود من ملوك الدولة الجبرية التى حكمت البحرين (القرن ١٥ ق. م) ويصف فيها الفهد الذى كان يستخدم على زمان الجبريين لصيد الظباء مثلما كانوا يدربون الكلاب السلوقية على صيد الأرانب .

ويشبه إبن غنام قوة وثب الفهد بالسهم إذ إنطلق من القوس :

بالأوثاب عجل يطوى البيد كنه نشاب أستافاه بالقوس جاذب
ختول قتول الصيد هلع مشكل إلى صار هو من حول الأقمان كاهب
قصول فصول للظهور معود لتيس الظبا دوم بعسماه ضارب
طبا صكها حى عسماه حطها على الخد ألقاها صروع عواطب

الشطرنج فى العصور الإسلامية :

أما لعبة الشطرنج فلعبها العرب المسلمون فى مطلع البعثة النبوية فروى عن سليمان بن يسار قوله أن عمر بن الخطاب كان يمر بنا ونحن نلعب الشطرنج فيسلم علينا ولا ينهانا.

وروى عن الضحاك بن درهم قوله : " رأيت الحسين مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال : إدفع ذا وضع ذا " وكان على بن الحسين كما روى الزهرى يلاعب إبناً له الشطرنج .

وروى إبن شداد : "رأيت أبا هريرة يدعو غلاماً فيلاعبه بالشطرنج ".

وكان عبدالله بن العباس ومثله عبدالله بن الزبير يحسنان الشطرنج ويلعبان به .

كما أسس بمكة نادياً يؤمه الزائرون وفيه قطع الشطرنج وقطع النرد وجعل فى الجدار أوتاداً فمن جاء علق ثيابه على وتد وأخذ يلعب الشطرنج .

وكان أهل المدينة فى القرن الأول الهجرى يستعملون كلمة (إشترنج) بدلاً من كلمة شطرنج ، كما قيل أن زمان الأمويين كانوا لا يتسلون إلا بالشطرنج .

وكانت لعبة الشطرنج فى هذا العصر عبارة عن صور البيادق وصور الفيلة والأفراس على صورها والمتاحف تحتفظ بقطع من الشطرنج تعود إلى العصر الأموى موزعة بين المتحف الإسلامى ببرلين ومتحف اللوفر .

وكانت الشطرنج تلعب فى العصر العباسى على رقعة أدم مربعة حمراء كما ذكر على بن الجهم :

أرض مربعة على أدم ما بين إلفين معروفين بالكرم

مشاهير الشطرنج :

وقد إشتهر ونبغ فى رياضة الشطرنج معدودين من أمثال العدلى وهو أول من وضع كتاباً فى هذه الرياضة الذهنية ومن مسائله منصوبته الشطرنجية المسماة (منصوبة العدلى) والتى يعود تاريخها إلى سنة ٩٣٠ م .

ونبغ شطرنجيين آخرين من أمثال المولى كوثر ومحمد البيدق وأبو جعفر الشطرنجى .

أما أفضل من لعب الشطرنج فى زمانه فهو أبوبكر الصولى محمد بن يحيى الكاتب .

وحكى المسعودى فى مروج الذهب أن الإمام الراضى بالله أتى فى بعض متنزهاته بستاناً مورقاً وزهراً رائقاً فقال لمن حضره ممن كان من ندمائه :

هل رأيتم منظراً أحسن من هذا ؟

وكل أخذ فى مدحه ووصف محاسنه وأنه لا يفى به شيئ من زهرات الدنيا ، فقال الإمام الراضى : لعب الصولى بالشطرنج من هذا ومن كل ما تصفون .
ويحكى المسعودى أن الصولى دخل على المكتفى وقد ذكر له تخرجه فى اللعب بالشطرنج ، وكان الماوردى فى اللعب متمكناً .
فلما لعبا بحضرة المكتفى حسن رأيه فى الماوردى وتقدم بالألفة لنصرته وتشجيعه وتنبيهه حتى أدهش ذلك الصولى فى أول وهلة فلما إتصل بينهما الدست وجمع له مبانيه وقصد غلبه غلباً لا يستدرك .
وتبين الخليفة حسن لعب الصولى عدل عن هواه ونصره الماوردى وقال : عاد ماء وردك بولاً " .

المنصوبات الشطرنجية :

وسوف نسوق للقارئ إحدى منصوبات الصولى حتى يتعرف أكثر كيف كانت تلعب الشطرنج وكيف أنها كانت تشهد تطوراً فى تلك العهود .
منصوبة الأحمر فيها غالب واللعب له وهى :
يجيئ الأحمر برخه إلى رابع فرسه فخيرها للأسود أن يجيئ برخه إلى ثالث فرسه فيجيئ الأحمر برخه إلى رابع رخه الأيمن ، فخيرها للأسود أن يجيئ برخه إلى ثالث فرزانه فيقول له الأحمر : شاه برخه إلى رابع رخه الأيسر فيذهب إلى بيت الفرس فيضع الأحمر رخه فى رابع فرزانه على المقاطعة فيذهب الأسود حيث يشاء ويذهب الأحمر برخه إلى سادس فرزانه (الأسود وتحضيره) فلا يتهيأ للأسود أن يفارق الكشف لئلا يقول : شاه بالرخ ثم بالفرس ثم بالرخ ، شاه مات .
فخيرها للأسود أن يرد رخه على كشف الأحمر فيجيئ الأحمر برخه ويحفظ فرسه ويجيئ بشاهه إلى ثالث الفرس فيرجع الأسود إلى صف شاهه فيجيئ الأحمر بشاهه إلى ثانى فرزان الأسود ووجب القطاع والغلب ، ومن المعلوم أن الرخ والفرس على رخ قائمة عند جميعهم إلا أن يكون صاحب الرخ ضعيف اللعب وإذا صار شاه صاحب الرخ إلى الزاوية وحصره بالرخ من ثانى الفرس وشاهه وفرسه بقرب رخه فهى مغلوبة لا محالة .

تطور الشطرنج فى العصر العباسى :

ولعل تطور رياضة الشطرنج يعود إلى إهتمام الخلفاء العباسيين آنذاك به وخاصة الخليفة المهدى وكان له شطرنجيه المفضل وهو عمر بن العزيز أبو حفص الشطرنجى وكان شاعراً وشطرنجياً متفوقاً وكان يحسن اللعب حاضراً وإستدباراً . وكذلك هارون الرشيد حيث قدم لاعبيه ومنحهم العطايا ، فإلى هذا العصر ظهرت طبقة الشطرنجيين .

ومن شدة إهتمام الرشيد بالشطرنج أنه أرسل من بين هداياه إلى ملك فرنسا (شارلمان) Charlemagne رقعة جميلة وأحجاراً ثمينة كاملة لهذه اللعبة . وكان يلعبها على رقعة بها إثنى عشرة أو أربعة وعشرون مغزلاً بثلاثين حجراً.

ويروى المسعودى أنه من شدة ولع الرشيد بالشطرنج كان يلعبه أثناء رحلاته ونقرأ عبارته :" كان إبراهيم بن المهدى يرافق إبن أخيه هارون الرشيد فى رحلاته فقال : كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة وهو يريد نحو الموصل والمرادون والشطرنج بين أيدينا " .

وكان الرشيد يلعب الشطرنج مع خاصته ولم يضاهه فيه سوى عدد قليل منهم كأبى حفص الشطرنجى وإبراهيم الموصلى وإبنه إسحاق ، وكان عنده من الجوارى من تحسن الشطرنج وتجاريه فيه وكذلك كانت تفعل زوجته زبيدة ، وللرشيد عبارة فى الشطرنج حيث يصفه بأنه :" يعلم الصبر والسياسة والمكر وعمل الفكر " .

وقد إشتهر الشاعر أبو نواس بإهتمامه بالشطرنج ، قال إبن منظور مضى بعض الأصدقاء إلى بيت أبى نواس بعد موته فدخلوا إلى مرقده وثيابه لم تحرك بعد فإذا كل ما خلفه قمطر فيه دفاتر وجذاذات قراطيس فيها نسخ أشعار وغريب ألفاظ ونرد وشطرنج

وأبو نواس هو القائل :

ألا فإشرب من الراح على الإعلان والسمعة
ومن لامك فى هذا فقل من أنت فى الرقعة

وقال أيضاً :

لعبت بالشطرنج مع أهيف رشاقة الأغصان من قده
أحل عقد البند من خسره وألثم الشامات فى خده

ويعنى أبو نواس بالشامات (شاه مات) وهو إصطلاح شطرنجى .

وله أيضاً :

تلاعب بالشطرنج مع من أحبه فنادمنى حتى سكرت من الوجد
وأنشد فى مالى أراك مفكراً تدور على الشامات وهى على الخد

وسأل الرشيد يوماً يحيى بن ماساويه وكان طبيباً ومقرباً منه أثيراً لديه :

ماذا تقول فى الشطرنج ؟

فأجاب : يا أمير المؤمنين وهل معرفة لطيفة أو لذة جسيمة إلا فى الشطرنج أما علمت أن من مضوا من الحكماء كانوا يسمونها قلادة الحكم .

وكان فى زمن الرشيد طاعون فأمره إبن ماسويه اللعب بالشطرنج وقال يا أمير المؤمنين : إنه يشفى الأمراض .

قال : وكيف ؟

قال : إذا كان الرجل دموياً يلعب به فى ساعة الصفراء وإذا كان بلغمياً يلعب به فى ساعة السوداء لجودة تدبيره ويتجنبها البلغمى وأوفق الأمزجة لها الخريف ويوم السبت وهى للمعتدل فى كل وقت .

وأبوزكريا يحيى الحكيم فى كتابه (المنصوبات) يقول : " لا يكون الرجل عالماً بأمر الحرب على الكمال حتى يكون شطرنجياً " وكان سعد بن جبير يقول : " ما وضع هذا الشطرنج إلا لأمر عظيم " .

وقريب من قوله ما ورد فى كتاب (الفتاوى) فنقرأ : " لم تنته الملوك وأهل المروءات بشيئ من النظر فى الشطرنج فإنها حكمة وآداب وحسن تدبير ولذة وحذر ولم يضعها الحكماء لتكون هزلاً وإنما وضعوها لتكون أمثالاً وتأديباً أنظر فيها حسن النظر وصحة التدبير فى إبتداءات الأمور وعواقبها فلا تتقدم فيها إلا بعد روية ولا تتأخر إلا بعد حذر ، ونهوا عن التحكم فى الهلكة ومثلوا موضع الحذر والإحتراس وبينوا موضع التحصين والإمتناع وإنتهاز الفرصة وإجتناب الطمع الذى يكون فيه التورط ".

وأضحى الشطرنج من صفات الفروسية وتكامل الأدب وتسامى الفن فقال الحسن بن سهيل : " على الأديب معرفة ضرب العود ولعب الشطرنج والصولجان وبعض الطب والهندسة والفروسية .. "

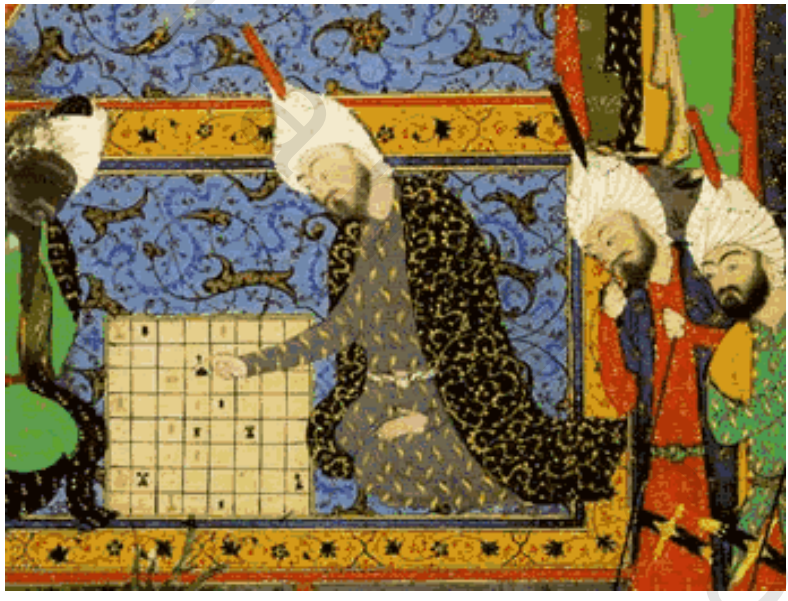

وكتب الفيلسوف الكندى وصية لولده يقول فيها :

" يا بنى كن كلاعب الشطرنج مع الناس تحفظ شيئك وتأخذ من شيئهم فإن مالك إذا خرج من يديك لم يعد إليك " .

أما بديع الزمان الهمدانى فقال : " كن كلاعب الشطرنج خذ كل ما معهم وأحفظ كل ما معك " .

وأوصى شطرنجى ولده وهو فى النزع الأخير فقال : " يا ولدى إحذر جانب الرخ وإخشى وثبة الفرس وإتق طرقات الفيل ولأن تقعد على غرمول بغل خير لك من أن تفقد تحت الكشف " .

وهكذا مدحه أيضاً إبن المعتز حاملاً على الجاهل به ذاماً إياه لجهله قائلاً :

ياعائب الشطرنج من جهله	وليس فى الشطرنج من باس
فى فهمها علم وفى لعبها	شغل عن الغيبة والناس
وتذهل العاشق عن عشقه	وصاحب الكاس عن الكاس
وصاحب الحرب بتدبيرها	يزداد فى الشدة والباس
وأهلها فى حسن آدابهم	من خير أصحاب وجلاس

أما إبن الرومى فقال مادحاً النديم والشطرنج :

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بهما عواقب لا تسمو بها عين جاهل
وأجدى على السلطان فى ذاك أنه يريد بها كيف إتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها إذا ما إعتبرته مثال لتصريف القنا والقنابل
تأمل حجاه فى دقائق هزله تجده حجاه فى الخطوب الجلائل

ومما قيل فى الشطرنج أيضاً فبولغ فى وصفه :

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها عواقب لا تسمو لها عين جاهل
وأبصر أعقاب الأحاديث فى غد بعين مجد فى مخيلة هازل
فأجدى على السلطان فى ذلك أنه أراه بها كيف إتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها إذا ما إعترته شبيه بتصريف القنا والقنابل

أما فى ذم الشطرنج فنقرأ عبارات لإبن شرف القيروانى خلافاً لبعض عباراته كما سيأتى حين يصفه لكن ههنا يقول :

" آخر الطبعة وأول الأربعة ، لعب كل يطرح له الكل ، رخه أبدأ فيل وشاهه قتيل ، لعب يرمد ويكمه ، لعب العريب فيه غريب ، والصواب فيه لا يصاب دفع ما فيه نفع وقطع على نطع ، ما فى دفعاتها أغراب ولا لرقعاتها أطراب طويل سد الرقعة كثير من القطعة ، مر القطعة على طول إمساك وثقل حراك " .

ويقول إبن الرومى متندراً على الشطرنج :

أرى لعبة الشطرنج إن هى حصلت أحق أمور الناس ألا تحصلا
تعلة بوابين جاعا وأرملا بباب قليل خيره فتعللا

من ناحية أخرى فقد إستعمل نقاب الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر

ومما قاله بعض النقاب :

نوادر الشطرنج فى وقتها أحر من ملتهب الجمر
كم من ضعيف اللعب كانت له عوناً على مستحسن القمر

وقد جمع كتاب حكاية أبى القاسم نوادر الشطرنج وهو مأخوذ من مجالس الشطرنجيين وأراجيزهم .

كما حوى كتاب المستظرف جملة من تلك النوادر ومنها أن شطرنجياً يحتضر فجعل يردد شاه مات ، حتى مات ، ونحو ذلك كثير من نوادرهم .

الأمين يدفع حياته ثمناً للشطرنج :

وشغف محمد الأمين بن هارون الرشيد بالشطرنج شغفاً شديداً حتى أنه نسى بسببه خطراً أحدق به وأودى بحياته ولقد حشد فى بلاطه النابغين والمتميزين من مختلف أقطار الخلافة وغمرهم بالعطاء .

وحينما حاصرته جيوش أخيه المأمون وهو بقصره فى بغداد وكانت رحى الحرب دائرة فى ضواحى المدينة وعلى أسوارها جاءه النذير وكان مأخوذاً مذعوراً من هول الحرب ولكن الدهشة عقدت لسانه حين رأى الأمين غارقاً فى رقعة شطرنج وصرخ الرجل : يا أمير المؤمنين أتوسل إليك أن تسرع فليس هذا وقت لعب .

ولكن الأمين كان مستغرقاً فى التفكير بمعضلات الشطرنج فقال دون أن يرفع عينيه عن الرقعة : " صبراً صبراً فإنى أتوقع الفوز بعد بضع نقلات " .

ودفع الأمين حياته لهذا الشغف والإستغراق فى اللعب .

و يروى القلقشندى أن المأمون إشتاق للعب الشطرنج فأحضر كبار أهله ولكنه فشل فى اللعب فكان يقول :" عجباً منى كيف أدبر ملك الأرض من الشرق إلى الغرب ولا أحسن تدبير رقعة طولها ذراعين فى ذراعين ".

وكان يقول عن الشطرنج : " هذا يشحذ الذهن " وإقترح فيه أشياء ، وكان يقول أيضاً : " لا أسمعن أحداً يقول : تعال حتى نلعب ولكن ليقل : نتداول أو نتناقل " .

كما أن له شعراً فى الشطرنج حيث يقول :

أنظر إلى لاعب الشطرنج مغالباً ثم بعد الجمع يرميها

كالمرء يكدح للدنيا ويجمعها حتى إذا مات خلاها وما فيها

وكان الكبارمن أهله حين يلعبون الشطرنج معه يتوقرون بين يديه حتى ضاق بذلك فقال : " إن الشطرنج لا يلعب مع الهيبة ، قولوا ما تقولون إذا خلوتم " .

وكان للمأمون جارية تسمى (عريب) من أحسن الناس لعبا بالنرد والشطرنج وربما تكون عريب صورة مشابهة لجارية هارون الرشيد التى كانت تدعى (تودد) ، فذات يوم إستدعى الرشيد إلى القصر شطرنجياً ذاع صيته يدعى إبراهيم بن نسامى وطلب منه مقابلة تودد فى الشطرنج لإختبار قوته

وقال لها : إبراهيم يريد أن ينازلك فإن غلبته فلك عباءته وإن غلبك فله منا صلة فقامت تودد إلى الشطرنج وربحت منه الدست .

وكان أشهر اللاعبين فى عهد المأمون : عبدالله إبن جعفر الأنصارى ، ونعيم الخادم ، وجابر الكوفى ، وزيرب قطان وأصله من آسيا الصغرى وكان مشهوراً بقدرته على تحليل خواتيم الأدوار وإمتاز بدقته فى ذلك ، وألف عدداً من المنصوبات الشطرنجية .

بطولة دولية فى الشطرنج :

وتعد المباراة التى جمعت بينه وجابر الكوفى ولاعبين من آسيا الصغرى فى مدينة خراسان بحضور المأمون سنة ٨١٩ م أولى المباريات الدولية والتى فتحت المجال أمام لقاءات دولية ربما بين أفذاذ الشطرنج المسلمين ولاعبين من خارج الخلافة فكتاب (الألعاب) الشهير الذى وضعه الفونس الحكيم Alphonse ملك (قشتالة وليون) سنة ١٢٨٣م يحتوى على صوراً متعددة لدورات من الشطرنج يتبارى فيها لاعب مسلم ضد لاعب مسيحى ويمكن التمييز بينهما بفضل لباس كل منهما .

مباراة شهيرة فى الشطرنج :

ولعل هذه الصورة تشير إلى المباراة الشهيرة التى جمعت الملك القشتالى وبدر بن عمار (وزير المعتمد) .

فقد وعد إبن عمار هذا الملك بأن يمنحه مدينة أشبيلية مكافأة له بدون حرب إن هو هزمه فى الشطرنج وكان معروفاً عن إبن عمار مهارته الفائقة فى اللعب ، فهزم القشتالى وعاد مزهواً بنصره وراءه خدمه وأتباعه يحملون عنه رقعة الشطرنج

وكان لابد أن ينتصر بدر إبن عمار فذات يوم والمطر ينهمر بغزارة شاهده المتنبئ يلعب الشطرنج غير آبه بإنهماره فأنشد قائلاً :

ألم تر أيها الملك المرجى عجائب ما رأيت من السحاب
تشكى الأرض غيبته إليه وترشف ماء رشف الرضاب
وأوهم أن فى الشطرنج همى وفيك تأملى ولك إنتصابى
سأمضى والسلام عليك منى مغيبى ليلتى وغداً إيابى

والمصادر تحدثنا عن بطولة جمعت عالية الشطرنج من مختلف أقطارالوطن العربى وذلك فى القرن ١٢ م .

حيث إجتمع فى دمشق سبعة من الشطرنجيين من صقلية ومصر وطرابلس ومراكش لمباراة كبرى .

ولم يكن الخليفة المعتصم بأقل من أسلافه شغفاً بالشطرنج حتى أنه وضع منصوبة شطرنجية تسمى (منصوبة المعتصم) .

وكان الخيلفة المعتز بالله إبن المتوكل مولعاً أيضاً بالشطرنج لدرجة أنه أتى برأس الخليفة المستعين بالله على طبق أمامه وهو منهمك بالشطرنج فقيل له : " هذا الرأس المخلوع " ، فقال : " ضعوه هناك " ثم فرغ من لعبه ودعا به فنظر إليه ثم أمر بدفنه .

وروى جعفر بن ورقاء الشيبانى قال : " كنت أيام الخليفة المعتضد مع نظرائى من أولاد الأمراء والقواد مرسومين بالبقاء فى دار الخلافة على رسم الخدمة بنوائب كانت لنا وكنا نجتمع فى حجرة نستريح فيها بعد إنقضاء الخدمة وإنصراف الموكب فننزع خفافنا ونضع عمائمنا عن رؤوسنا ونلعب بالشطرنج والنرد ".

وإنتشرت الشطرنج أكثر فى عهد الخليفة المكتفى بالله فى مختلف الأوساط فمرة سأل أحمد الواثقى وكان يتقلد شرطة بغداد عن بعض الناس فقيل له : أنهم لا يخرجون نهاراً إلا كل مدة طويلة فهم يأكلون ويشربون ويلعبون الشطرنج ، فإذا كان الليل إنصرفوا .

الشطرنج فى العصر الطولونى :

وفى عصر الدولة الطولونية نسب إلى أحمد بن طولون ولإبنه خمارويه لعب الشطرنج والإجادة فيه وكتب هارولد لامب Harold Lamp فى كتابه الضخم (الحروب الصليبية) هذه العبارة : " نعمت دمشق بالسلام فى عهد نور الدين محمود الزنكى فقد كنت ترى تحت البواكى ذات العقود المتشابكة التى تغطى الأزقة والمنعطفات رؤوساً وقد خطها الشيب منكبة فوق رقع الشطرنج المصنوعة من الأبنوس المطعم بالعاج " .

الشطرنج فى العصر الفاطمى :

وكان مدح السلاطين الفاطميين يجرى أحياناً كما فى مدح السلطان الناصر على هذا النحو :

ملك يخاف الرخ صولة فيله لما يرى عظماً عظيم الشان
أن صف كالخيل الجياد بيادقاً بلغت من العلياء كل مكان
خضعت لهيبته الملوك لأنه فرزانه من نفس عظم العانى
والأرض قالت رقعتى محروسة والشاة تسرح بى مع السرحان

الشطرنج فى العصر المملوكى :

ولمع من الشطرنجيين فى عصر الدولة المملوكية عيسى العالية ، وعلى بن قيروان التركى وكان أعمى وقد ذكره الصفدى فى شرح لامية العجم .

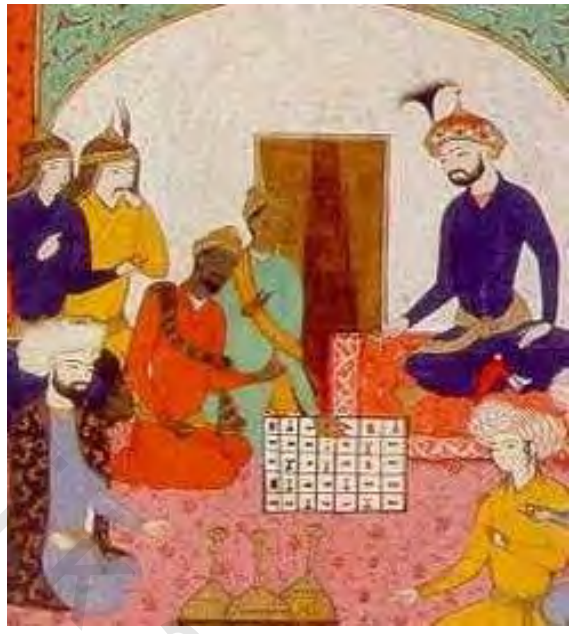

حيث رآه فى القاهرة سنة ١٣٢٦م يلعب مع بعض الشطرنجيين ويتفوق عليهم بل كان يتحدث معهم ولايغيب عنه شيئ من لعبهم .

(الشطرنج فى مصر)

وكان الأمير خشقدم فى الحرس السلطانى مدمناً على الشطرنج ليل نهار ، ويحكى أن السلطان حسام الدين بن لاجين قتل فى رمضان سنة ١٢٩٩ م
وهو منكب على لعب الشطرنج .
وتشير المصادر إلى هدية والى اليمن الملك الأشرف عهد الدين بن رسول شطرنجاً من العقيق الأبيض والأحمر إلى السلطان برقوق .
ونجد الشاعر بدر الدين بن الصاحب يصف مهارته فى الشطرنج حتى أنه أتقن حفظها وصار بإمكانه أن يلعبها دونما نظر إلى رقعتها :

لى فى الشطرنج علم أتقن الإدمان حفظه
ألعب الغائب منها فآراه طبقاً يقظه

ويرى أنه لعبة أهل الرأى والتدبر وإن أنكر ما يراه من سلوك لاعبيه فيقول :

أميل الشطرنج أهل النهى وأسلوه من ناقل الباطل
وكم لى أهذب لعابها ويأبى على الطباع الناقل

الشطرنج فى العصر العثمانى :

ويشير مؤرخى الدولة العثمانية إلى برقية أرسلها الوزير حافظ إلى مراد الرابع الشغوف بالشطرنج بعد سقوط بغداد يقول فيها :
" حافظ محاط بالأعداء هل سيصله أية إمدادت ، فى جولات الشطرنج يتقدم رخ الأعداء فلتتقدم فرساننا ، أليس هناك وزير لقيادتهم " .
فأجابه مراد قائلاً : " إذا تقدم رخ الأعداء فإن عليك أن تهاجم شاه الفرس وتضعه فى وضع مات " .
ويروى هنتر Hunter فى كتابه (رحلات) هذه القصة : " كان أحد الأغاوات الذين غضب عليهم السلطان يلعب الشطرنج عندما وصل الأمر بإعدامه وكانت الجولة فى أواخرها وفى وضع مثير فطلب الأغا من الجلاد أن يمهله لإنهاء الجولة ، فوافق الجنود على ذلك فأكمل الأغا الجولة وربح ، وعندها إلتفت إلى الجنود يشكرهم على لطفهم وبعد تقبيل أمر السلطان سلم رأسه للجلاد بكل هدوء " .
وممن إشتهر بلعب الشطرنج من أمراء اليمن والإجادة فيه الأمير جياش بن نجاح

حوالى سنة ١٠٨٨ م كما كانت مصطبة الوزير على بن القم يجتمع فيها علية القوم يلعبون الشطرنج .

وقد بلغ من مهارة العرب فى الشطرنج أنهم كانوا يلعبونه بالإستدبار وهو اللعب دون النظر إلى الرقعة وهو ما نطالعه فى رواية عبدالله القطان فى مصنفه فى فضائل الشافعى حيث يشير إلى : " أن الشافعى كان يلعب بها استدباراً " .

وتحدث الصفدى فى الغيث المنسجم أنه رأى غير مرة بدمشق سنة ٧٣١ هـ شخصاً يعرف بالنظام العجمى وهو يلعب الشطرنج غالباً فى مجلس الصاحب شمس الدين وأول من رأيته لعب مع الشيخ أمين سليمان رئيس الأطباء وكان طبقة عالية فغلبه مستدبراً ولم يشعر به حتى ضربه بشاه مات بالفيل ، ولم يره حتى إلتفت إلينا وقال : مات ، وحكى لى أنه كان يلعب غالباً على رقعتين ، وحكى عن صاحبنا بدر الدين حسن القزى أنه رآه يلعب على رقعتين غائباً وقدامه رقعة يلعب فيها حاضراً وغلب فى الثلاث .

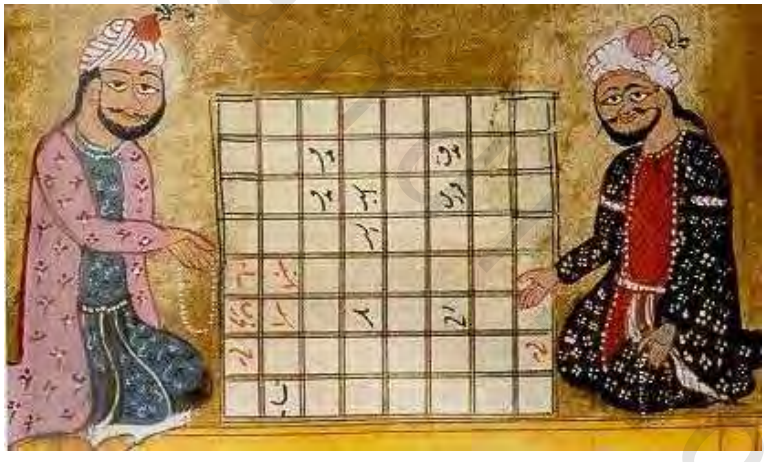

وكان الصاحب شمس الدين الذى يدعه فى وسط الدست ويقول له : عد لنا قطعك وقطع غريمك فيسردها جميعاً وكأنه يراها بين يديه .

وأنشأ فيه إبن نباتة مقامة بديعة ختمها بقوله :

لله فى الشطرنـج فكرة لاعب إن غاب أو حضر أجتنيت حدائقه
شكرته نفس اللعب أو نفس النهى هاتيك صامتـة وهذه ناطقه

لعب الشطرنج بالإستدبار :

ومن اللاعبين بالإستدبار فى القرن ١٣ م شطرنجياً يدعى أبوزريقة المغربى فإنتقل إلى مدن أوروبية فأثار دهشة الناس هناك .
ومن اللاعبين بالإستدبار أيضاً أبو القاسم التوزى فى القرن التاسع الميلادى ، وفى ديوان إبن الرومى مخاطباً إياه :

تقتل الشاه حيث شئت من الرقـ عة بالقتلـة النكراء
بل تراها وأنت مستدبر الظهـ ر بقلب مصور من ذكاء
ما رأينا سواك قرنـا يـولى وهو يردى فوارس الهيجاء
رب قوم رأوك ريعوا فقالوا هل تكون العين فى الإقفاء

إلى أن يقول :

غلط الناس لست تلعب الشطر نج لكن بأنـفس اللعبـاء
ربمـا هالنى وحير عقلى أخذك اللاعبين بالبأسـاء
ورضاهم هناك بالنصف والرب ع وأدنـى رضاك فى الإرباء
وإحتراس الدهاة منك وإعصا فك بالأقويـاء والضعفاء

الشطرنـج فى الأدب العربى :

ولما شاع الشطرنـج فى مختلف عصور الخلافة الإسلامية حتى أصبح جزءاً من حياة العامة وجزءاً من النمط الحضارى القائم تبارى الأدباء والشعراء بوصف

الحياة اليومية لحركة المجتمع متخذين من الشطرنج مادة أدبية وشعرية . ودخل الشطرنج وأحجاره ورقعته أيضاً فى مصطلحات الفلاسفة وكذا أهل التصوف .

فيصف إبن شرف القيروانى الشطرنج وصفاً رائعاً بقوله :

" حرب سجال وخيل عجال وفرسان ورجال قريبة الآجال سريعة العودة المجال تستغرق الفكرة وتسلب اللب إستلاب السكرة وتترك اللسان وما أراد أساء أو أجاد . إلا أنها تدنى مجلس الصعلوك من أشرف الملوك حتى لا يكون بينهما فى أقرب بقعة إلا عرض الرقعة فربما إلتقت ثيابهما فى بيت الرقعة ولسانهما على بيت القطعة .

لعب أصولى وغريب صولى ، قمر لحاجى ولعب لجاجى مظفر النية أبراها عن ماية ، بيوته حصينة وشياهه مصونة ودوابه مجتمعة وشاهه ممتنعة ، جيد النظر شديد الحذر لا يبقى ولا يذر عينه نقلى وفكرته تملى ويده تبلى " .

أما إبن صاعد الأندلسى فيصف لعبة الشطرنج وفائدتها بقوله :

" لعمرى إن فيما يظهر من إستعمالها بتعريف قطعها من حسن التأليف وعجيب الترتيب لغرضاً جميلاً ومقصداً فخماً .

لما فى ذلك من التشبيه على وجوب التحرز من الأعداء والإشارة إلى صورة الحيلة فى المكائد وكفى بذلك فائدة وغرة نافعة "

أما إبن الرومى فيقول فى الشطرنج :

تفرست فى الشطرنج حتى عرفتها ... فإن صح رأيى فهى بالوعة العقل

إليها يغيض ما شاب صفوه ... من الهذيانات الشنيعة والهزل

وماذا فى الشطرنج عيباً لأنه ... عناء عظيم إن جنحنا ألى العدل

ومن قصيدة أخرى لإبن الرومى يمدح فيها أبا القاسم الشطرنجى ويعاتبه على مطله فى تنفيذ وعد كان وعده إياه يقول فيها :

تهزم الجمع أوحدياً وتلوى ... بالصناديد أيما إلواء

وتحط الرخاخ بعد الفرازين ... فتزداد شدة إستعلاء

غلط الناس لست تلعب بالشط ... رنج لكن بأنفس اللعباء

تقتل الشاه حيث ما شئت من ... الرقعة طباباً بالقتلة الرسلاء

وقد فطن إبن الرومى إلى تأثير العوامل النفسية فى المباريات الشطرنجية حين يصف طريقة لعب أبى القاسم التوزى :

لك مكر يدب فى القوم أخفى من دبيب الفناء فى الأعضاء

ولإبن الرومى من ثم شعراً فى رقعة الشطرنج فيقول :

شعرات فى الرأس بيض ودعج حل رأسى جيلان روم وزنج
طار عن هامتى غراب شباب وعلاه مكانه شاهمرج
حل فى صحن هامتى لونان كما حل رقعة الشطرنج
أيها الشيب لم حللت برأسى إنما لى عشر وعشر بنج

وتكتسى بعض الأشعار طابعاً فلسفياً بحتاً كما نجد فى رباعيات الخيام :

إنما نحن رخاخ القضاء ينقلنا فى اللوح أنى يشاء
وكل من يفرغ من دوره يلقى به فى مستقر الفناء

وله فى قصيدة أخرى قوله :

الدهر كاللاعب القدير على رقعة الشطرنج لعبة القدر
والصبح والليل من بيادقه وإن أحجاره بنو البشر

وفى لعبة الشطرنج شبهاً من الدنيا وحالها وما يعود منها على الإنسان من شقاء ونعيم ثم هى فى النهاية تفنى ، نقرأ ذلك فيما قاله إبن نباتة :

تأمل فى الشطرنج كالدولة نهاراً وليلاً ثم بؤساً وأنعما
محركها باق وتفنى جميعها وبعد الفنا تحيا وتبعث أعظما

وإذا ذكر وقوع الإنسان فى ورطة وهلكة على يد عدو قال إبن المعتز :

قل للشقى وقعت فى الفخ أردت بشاهك ضربة الرخ

ومن أرجوزة الصادح والباغم لإبن الهبارية إمتزجت فيها تعابير السياسة بتعابير الشطرنج فيقول :

إلا الذى أبدوه فى الشطرنج للناس من علم سيد النهج
جد عظيم لقبوه هزلاً يصير الرأس الأمين جزلاً
فيه إشارات إلى مواعظ نافعة لكل واع حافظ
قد رسموها للهدى مثلاً إن الحكيم يضرب الأمثال

ومنها قوله :

وأسبق فى الأجود سبق ناقد فسبقك الخصم من المكائد

كسبق أهل الشام أصحاب على كيداً إلى ماء الفرات السلسل

وقوله :

لا تفتح الدست والحرب معاً وأقنع بسلم ما وجدت مقنعاً

وفى العظة والإعتبار فإن :

شطرنجنا لمثل هذا وضعا أول فن فى العلوم أخترعا

يا أيها الإنسان كن فى الدنيا كلاعب الشطرنج فى المعنى

والشاه لا يحضر عند الشاه فإنها من أعظم الدواهى

وحتى الحث على السفر وطلب الرزق لم ينسوه فقالوا :

دعنى فى البلاد ملتمساً فضيلة مال إن لم تفرزانا

وبيدق الرخ وهو أيسرها فى الدست إن سار فرزانا

وقالوا أيضاً :

والصغير الصغير يسمو به السير فيعنو له الكبير الجليل

ورأى البيدق المقلل حتى إنحط عنه فى قيمة الدست فيل

وما أحكم قول العبادى : " صاحب الدنيا كلاعب الشطرنج حاله دسته ، بقعته رقعته ، روحه شاهه ، فرسه هواه ، فيله أمله ومناه أماله ، رخاخه ما يجمعه من الأقدار وحطام الدنيا بيادقه عن مواقعه .

فلاعبه ساه عما هو فيه ، مهمل لأمره وتلافيه ، يأخذ بيد طعمه ويجمع فى حجر أمله ، لاه بحرصه هواه عن طوارق آفات دنياه ، حتى إذا إنقضى الأمر تبدد ما كان جمع من القطع .

كن حازماً وعلى صلاح أمرك عازماً ، أحكم فأعدد دستك ، سد منافس الفساد وأجر الأمور على السداد ، إجعل بيادق طاعتك حراساً لشاه قلبك ، إجعل شاه قلبك أميراً وفرزان عقلك وزيراً ، فليلك ونهارك فى ميدان السعادة أفراساً وبيادق حرسك على أبراج رخاخك ، كل ساعة بلا طاعة فذلك بيدق مغمور وأنت لاه مغرور ، طوبى لمن أمضى فرس ليله ونهاره فى إقتفاء مآربه وأوطاره ، وركب فيل أجله

إلى نيل أمله وإستخدم بيادق جوارحه فى جميع مصالحه قبل أن تطوى الرقعة بما فيها ويحاذى الأمور حافيها "

وفى المراسلات بين الملوك ما رواه القلقشندى فى مآثر الأناقة حيث ورد : " من نقفور ملك الروم إلى هارون الرشيد ملك العرب أما بعد :

فإن الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت إليك من أموالها أحمالاً ما كنت حقيقاً أن تحمله أضعافاً إليها ، وذلك لضعف النساء وحمقهن فإذا قرأت كتابى فأردد ما حصل قبلك من أموالها .. "

وظهرت فى القرن ١٤ م قصيدة عرفت بالشطرنج والحب نقرأ منها :

وأهلك بالشوق بعد الفراق كما يهلك (الشاه) فى الزاوية

وشطرنج حبك فخ الغرام وفيه هويت إلى الهاوية

غير أن الإستعارات الشطرنجية التى فطن لها الشعراء ولاسيما فى عصور الإنحطاط السياسى والأخلاقى هى التى تتعلق بتقلبات الزمان وتسلق من لا يستحق أعلى مراتب السلطة والمال والنفوذ .

لقد جعلت الصيغة القديمة لقواعد الشطرنج الرخ أقوى قطعة فى الدست (المباراة) مقابل البيدق إذ كان الشطرنجيون ينصحون بعدم الإستهانة بهذه القطعة الضعيفة (فكم من شاهة غلبت بيدق) فقد صارت ترقية البيدق إلى الفرزان (الوزير) رمزاً لضعف الرخاخ والفرازين أو غيابها عن الرقعة ودليلاً على إنهيار القيم .

فيقول إبن زاكور الشاعر المغاربى الشهير :

يا بيدق الرخ فى أطراف رقعته لقد تفرزنت لما قلت القطع

وقال محمد بن شرف القيروانى :

قالوا تصاهلت الحمير فقلت من عدم السوابق

خلت الدسوت من الرخاخ وفرزنت فيها البيادق

وقال ناصر الدين بن النقيب :

يا بيدق الدست فى أطراف رقعته لقد تفرزنت لما قلت القطع

وسوف ينفك عقد رحت تعقده ما دمت فى مثلها مع مثلنا تقع

وقلت :

لما أنس فى الليل شطرنجاً لعبت به فى رقعة كرياض ذات أزهار
بيادق العاج أمست فيه طالعة مثل النجوم غداً يسرى بها السارى

وقلت :

إن شئت أن تدرى الزمان وأهله فتأمل فى الشطرنج يحكيك الورى
قد قدمت فيه الرذال وأخرت ذا الرأى والتمكين فيه إلى ورا

وقيل أيضاً على لسان البيدق :

تقدم قبل الرخ أبخس بيدق وأخر من أمسى له القبض والبسط
ولا خير فى دنيا ولا فى نعيمها إذا إنحطت البازات وإرتفع البط

ويبدو أن هؤلاء الشعراء كانوا على درجة من المهارة بحيث إكتشفوا قبل ظهور النظريات الحديثة أن بيدق الرخ هو فعلاً أضعف بيدق على الرقعة وله الحظ الأدنى فى الترقية خلال النهايات البسيطة .

لكن شيوع ثقافة الإنتهازية خلال عصور الإنحطاط كانت كفيلة بأن تقلب الأوضاع فيختال البيدق الضعيف فى الرقعة الخاوية ، يقول إبن الهبارية :

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها ما فى البرية كل إنسان
وإذا البيادق فى الدسوت تفرزنت فالرأى أن يتبيدق الفرزان

وتناول الهمذانى الشطرنج فى مقامته (الجاحظية) فقال : " ومعنا على الطعام رجل تسامر يده على الخوان وتسفر بين الألوان وتأخذ وجوه الرغفان وتفقأ عين الجنان وتراعى أرض الجيران وتجول فى القصعة كالرخ فى الرقعة " .

حركات القطع الشطرنجية :

وقد إستوقفنا فى كتاب (أنموذج القتال فى نقل العوال) قول محققه أن حركة الفرزان كانت فى الشطرنج العربى محاددة لزوايا مربعة .

وأنه كان يتحكم فقط فى أربع مربعات وأنه لم يصبح أقوى الآلات إلا فى العصر الذى كتب فيه هذا الكتاب .

وفى ذلك القول ما يؤيده وهو ما نقل عن الصولى من قوله : " الشاه يجل عن القيمة وهو فيها بمنزلة النفس ، وأكثرها قيمة بعد الشاه الرخ فقيمته درهم والفرس

وقيمته ثلثا درهم والفرزان وقيمته ثلاث دراهم " .
وعادة ما كان الشعر العربى حين يصف حركة الفرزان يشبهها بمشى السكران :
مشوا إلى الراح مشى الرخ وإنصرفوا وأراح تمشى بهم مشى الفرازين
ومن هذا القبيل نذكر أيضاً قول محقق الكتاب لما يصف حركة البيدق : " وكان يتحرك عند العرب مربعاً واحداً فقط والفرق بين حركته قديماً وحركته اليوم هو أن يتقدم فى الحركة عبر مربعين لو شاء اللاعب ذلك " .
لكن هذا الكلام ينقضه صفى الدين بن حلى فى قصيدة يصف فيها حركة خصمه فى إفتتاح الدور فيقول :
فإبتدأنى بدفعه بيدق الفر زان من حرصه على نقلتين
أما عن حركة الفيل فكان بإمكانه أن يثب من مربعه الذى هو فيه إلى المربع الثالث بالنسبة لوتره من فوق أية آلة أخرى موجودة بينه وبين ذلك المربع .
أما اليوم فهو يتحرك على مربعات وتره ما شاء شريطة ألا يكون فيه قطعة ما من لونه أو من اللون الآخر .
ونقل إبن الرومى حركة الفيل وهو قوله فى هجاء جحظة الكاتب :
نبئت جحظة يستعير جحوظه من فيل الشطرنج ومن سرطان
وقد وصف زنون التازى فى القرن ١٧ م حركات الأحجار الشطرنجية فى كتابه (مختصر الأفاريد) بما يؤيد وجود أكثر من مذهب فى حركات قطع الشطرنج .

رقعة الشطرنج :

وعدد المسعودى فى (مروج الذهب) أنواع الشطرنج وكيف تختلف قواعد اللعب فيه بناء على إختلاف الرقعة وهى ستة أنواع أولها الآلة المربعة المشهورة وهى ثمانية أبيات فى مثلها ثم الآلة المستطيلة وأبياتها أربعة فى ستة عشر والأحجار تنصب فيها فى أول وهلة فى أربعة صفوف من كلا الوجهين حتى تكون الدواب منها فى صفين والبيادق أيضاً أمامها صفين ، ومسيرها كمسير أحجار الصورة الأولى .
ثم الآلة المربعة وهى عشرة فى مثلها والزيادة فى أحجارها قطعتان تسميان الدبابتين ومسيرها كمسير الشاه إلا أنهما يأخذان ويؤخذان ، ثم الآلة المدورة

فالآلة المربعة المدورة النجومية التى تسمى الفلكية وأبياتها إثنا عشرعلى عدد بروج الفلك ، مقسومة نصفين وينقل فيها سبعة أحجار مختلفة الألوان على عدد النجوم الخمسة والنيرين وعلى ألوانهما .

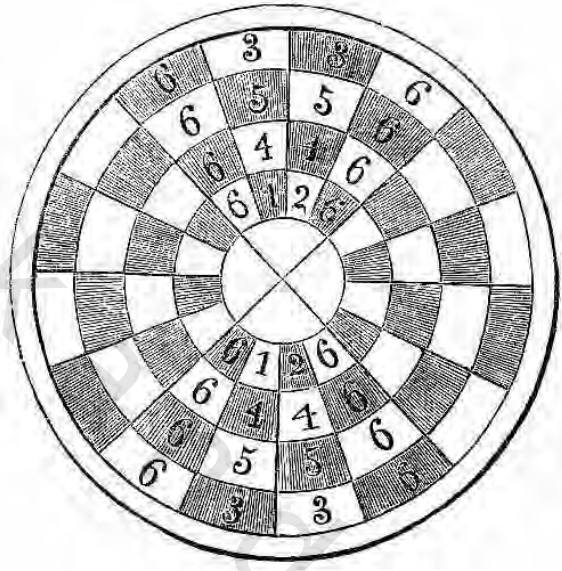

وأخيراً آلة تسمى الجوارحية سموا كل بيت من أبياتها بإسم جارحة من جوارح الإنسان وكان للاعبيها وهواتها فنوناً من الهزل والنوادر البديعة .

القطع الشطرنجية :

أما عن قطع الشطرنج فيحتوى على ١٦ قطعة بيضاء من جهة أحد اللاعبين و١٦ قطعة سوداء من جهة اللاعب الآخر ، ولكل جهة ثمانية قطعة كبيرة وثمانية قطع صغيرة .

أما القطعة الكبيرة فهى : الشاه ، والفرز ، وفيل الشاه ، والفرز ، وفرس الشاه ،

وفرس الفرز ، ورخ الشاه ، ورخ الفرز .
وهؤلاء يوضعون فى الثمانية خانات من الصف الأول ، ورخ الشاه يوضع فى الخانة السوداء من الزاوية الأخرى ، والباقون يوضعون فيما بينهم من البيوت .
والثمانية قطع الصغيرة يسمون بيادقاً ويوضعون فى الصف الثانى ، ويلقبون بأسماء القطعة الكبيرة الكائنة خلفهم مثلاً البيدق الذى يكون أمام الشاه يقال له بيدق الشاه ، وهكذا .
وينقل إبن الرومى صورة فيل الشطرنج وهو قوله فى هجاء جحظة الكاتب :

نبئت جحظة يتعير جحوظه من فيل شطرنج ومن سرطان
وارحمتا لمنـاديه تحملوا ألم العيون للذة الآذان

ولأبى القاسم الزعفرانى صاحب قصيدة الشطرنجية فى مديح عضد الدولة وصفاً يصور فيه فيل الشطرنج وأنه بلا ناب ولا خرطوم فيقول :

كل فيل نجت من الصلم أذناه وأودى ناباه والخرطوم

وكانت النقلات العشر الأولى فى الشطرنج تسمى (التعابى) ولكل تعبيةإسم كتعبية خطى فرعون ، والمشايخية ، والدولابية ، والعجائز ، ووتد العنز ، والسيالة وقد إشتهر الشطرنجى أبو عون بتعبئة خطى فرعون وكان يبتدئ بها . وإشتهر تميم الشطرنجى بتعبئة المشايخى وكان يبتدئ بها ، وقد أثنى الصولى بهذه التعبئة وبين فضلها على غيرها .

نظام الحركات فى الشطرنج :

أما نظام الحركات فى ذلك العهد فيختلف عما عليه اليوم ، فالشاه يتحرك إلى مربع واحد مجاور فى النقلة الواحدة ، والفرزان (الوزير) يتحرك إلى المربعات المجاورة لمربعه ولا يفرض سلطانه إلا على مربعات الأوتار المحيطة بمربعه .
فى حين كان بميسور الفيل أن يثب من مربعه إلى مربع الوتر الثالث بغض الطرف عما يكون من أدوات فى مربع الوتر الثانى القريب منه .
وكان البيدق يتحرك مربعاً واحداً فقط إلى الأمام ويضرب على مربع الوتر إلى الأعلى وله الحق فى أن يصير فرزاناً متى وصل إلى المربع الثامن ولا يسمح له بالتراجع ، أما أخذ البيدق بالمرور فلم يكن معروفاً .

وقد بقى معمولاً بهذا النظام حتى صدر التدوين الشطرنجى الحديث سنة ١٤٥٧ م من تأليف الكاهن الإسبانى لويس راميريز دى لوسينا Luis Ramirez de Lucena ويحتوى على تحليل لإحدى عشرة نظرية إفتتاح للعب .

وضم مائة وخمسين وضعية شطرنجية بعضها من وضعيات الشطرنج القديمة وبعضها من الوضعيات الحديثة .

مقتنيات ومناظر للشطرنج :

وما بقى من مقتنيات الشطرنج وأدواته فيذكر المقريزى أنه أخرج زمان الفاطميين من خزائن القصور أيام الشدة العظمى الكثير من قطع الشطرنج والنرد المعمول من سائر أنواع الجواهر والأبنوس والعاج أما القطع المصنوعة من البلور الصخرى والتى ينسب معظمها إلى الفاطميين فهى المجموعة المحفوظة ضمن مجموعة الكونتيسة دى بهاج Coutess de Buaag وتتكون هذه المجموعة من خمس عشرة قطعة من البلور الصخرى بعضها ملساء ناعمة قليلة الزخارف . والبعض الآخر يشتمل على زخارف نباتية قوامها أشكال المراوح النخيلية وأنصاف مراوح نخيلية ، ونفذت هذه الزخارف بخطوط واضحة فى أشكال فروع نباتية مورقة متماوجة .

أما قطع الشطرنج التى صنعت من الزجاج ويحتفظ بها متحف الفن الإسلامى فمجموعة تشتمل على إحدى عشرة قطعة زجاجية من الشطرنج تعود إلى العصر المملوكى وقد نفذت بحسب أسلوب الخيوط ، وهى عبارة عن كتل زجاجية معتمة بلون داكن زينت سطوحها بخيوط من عجائن زجاجية ملونة وتم ضغطها وهى ساخنة على هذه السطوح بحيث صارت مساوية لها وشكلت هذه الطريقة زخارف متعددة الألوان من الرخام والمرمر المجزع .

وهناك رسم لرقعة شطرنج على مسرجة من الخزف المملوكى ، وهى عبارة عن مسرجة من الخزف على هيئة طبق لها فوهة واحدة فاقدة المقبض وأيضاً فقدت جزءاً من أسفل قاعدتها .

وتزين المسرجة من الداخل زخرفة هندسية قوامها مربعات الشطرنج حيث رسمت باللونين الأزرق والأحمر بالتبادل على أرضية باللون الأبيض .

وإلى القرن ١٤ م تعود قطعة من الفخار المطلى المملوكى عليها شارة لعبة الشطرنج فى هيئة دائرة مقسمة إلى مربعات ملونة باللونين الأبيض والأسود بالتبادل .

وإستمرت هذه الزخرفة الهندسية المستوحاة من تربيعات لوح الشطرنج فى الظهور كحلية معمارية من الحجر المشهر فى عمائر المماليك ، ومثال ذلك مئذنة مسجد و مدرسة السلطان قنصوة الغورى ، فقد زينت هذه المئذنة بالحجر المشهر على هيئة تربيعات الشطرنج فى بدنها بالطابق الثالث .

كذلك توجد رقعة شطرنج على غطاء لصندوق خشبى مطعم بالعاج بأشكال هندسية دقيقة الصنع من الخارج والداخل وكان يستعمل لحفظ الملابس الكهنوتية فى مصر ويعود لحوالى القرن ١٥ م .

ويظهر على هذا الصندوق فى أعلى غطائه رقعة شطرنج من ثمانية بيوت كما هو متداول .

كما يظهر أماكن جلوس اللاعبان ، أما الادوات فكانت من الخشب أو العاج .

كذلك إرتبطت أدوات الشطرنج بجهاز العرس فكانت جزءاً أساسياً فيه وكان بالدكة الخاصة بهذا الجهاز أوان مختلفة وقطع شطرنج ، وكان كثيراً ما يحدث أن يتحمل أحد السلاطين عن أمرائه وأميراته إحضار أدوات الشطرنج بجهاز عرسهم .

هذا التاريخ الحافل للعرب فى رياضة الشطرنج وهذا الفضل كله لم ينكره موراى Murray حين يؤكد أن لعبة الشطرنج عند العرب كانت صورة واضحة عن الحرب تملأ النفس إعجاباً بفن العرب فى هذه الرياضة .

وهذا المعنى ليس جديداً فقد أشار إليه على بن الجهم حين قال :

تذاكرا الحرب فاحتالا لها حيلا من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر إلى فطن جالت بمعرفة فى عسكرين بلا طبل ولا علم

كذلك قول الصولى : " أول ما يلزم للاعب الشطرنج من أحكامها حسن التعبئة كالجيش عند اللقاء والإعتناء بذلك مع تدبر وتمهل من غير عجل فينبغى للمبتدأ

فى الشطرنج أن يبتدأ بتعبئة المجنح ويحرص على أن يكون هو المبتدأ بالفيل ولا يعبر شاهه من مكانه إلا لضرورة فإنه أجود بيوته ولا يبارز خصمه جازماً بقهره وغلبه بل يطاول ويسوفه فربما أدى ذلك إلى ضجره وغفلته فحين إذ ينتهز الفرصة .. إلخ " .

والمنافسة فى الشطرنج كأنها الحرب أو هى الحرب بكل حيلها بدءاً من الحرب النفسية وإنتهاءاً بالمواجهة :

هل فيكم اليوم بارز فى لعبة أو مبارز
أريه فيه حسابا فى كل أصل وبارز
فكم قطعت بخيل إلى العدو مراكز
أرضى عليه حرام إلا إذا كان جائز
ولحم شاتى ضأن وشاة غيرى ماعز

أثر العرب فى الشطرنج الحديث :

ولا يزال الشطرنج يحمل إلى اليوم بصمات العرب ، فعلى سبيل المثال لم يكن للملك أى أشكال فى كل اللغات إذ كان ترجمة لكلمة شاه وترجمتها إلى اللاتينية Scac وكذلك البيدق فلفظه فى كافة اللغات تشير إلى أصله العربى .

أما الفرس فترجم بمعناه حصان Springer .Ritter . Cavalier. Kanight ولم يكن معنى كلمة الرخ معروفاً لذلك بقيت الكلمة كما هى Roque . Rocco Rook . أما الكلمة الألمانية Turn " "Tour . Torqe . Castle فلم تستعمل إلا مع بداية تصدير الهند قطع الشطرنج إلى أوروبة حيث كان الرخ بشكل قلعة يحملها فيل .

وبقى معنى الفرز نسياً منسياً وعاش فى إسبانيا Ferz أوِ Alferza ثم تحول إلى Fierge أو Virge فى الفرنسية القديمة قبل أن يطلق عليه فى النهاية Reine وفى الألمانية Dame " Konigin " وفى الإسبانية Dama .

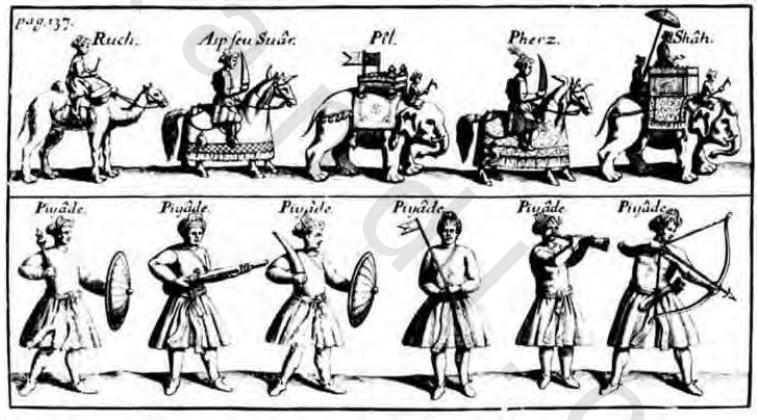

وكذلك الفيل فقد بقى فى الإسبانية إسمه كما هو ، وإختلف اللفظ قليلاً فى الإيطالية Alferre ، وأطلق عليه الألمان فى البداية Derd alte والإنجليز Laufer وفى البرتغال Bispo وفرنسا Fou ولعل ذلك يعود لشكل الفيل كما يظهر فى بعض الألعاب الشرقية ذلك أنه على رأس القطعة التى تمثل الفيل كان يظهر ناب الفيل الذى ظنه البعض عمامة الوزير .

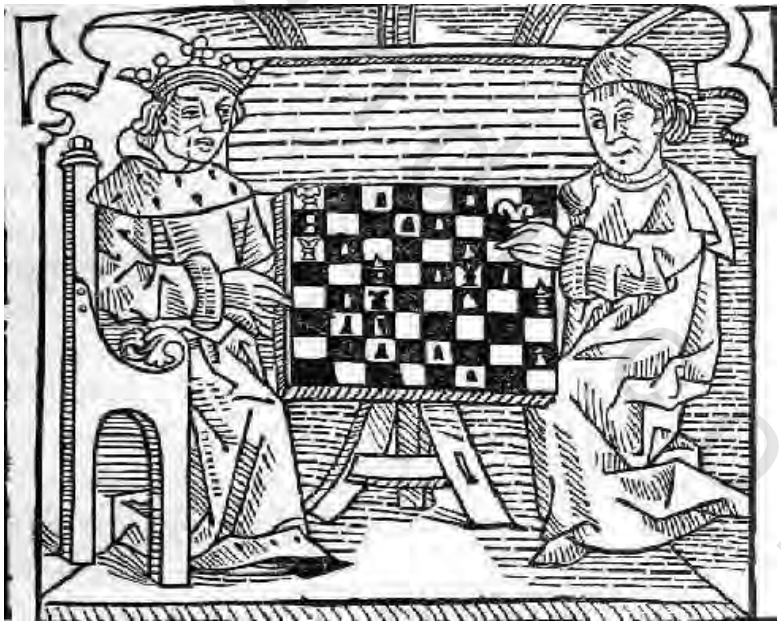

وفى النهاية نود الإشارة إلى أن القاعدة المعروفة فى الإنجليزية Touch Move والفرنسية Piece Touchee أى عليك أن تلعب القطعة الملموسة إنما هى من وضع العرب إذ كانوا يعتبرون لمس القطعة وكأنه وعد بنقلها .

من ناحية أخرى عرف المؤرخ البيرونى صوراً شتى للشطرنج ، والصورة التى وضعها بوصفها الأكثر تداولاً هى ضرب من حظ بالمعنى الحقيقى وتلعب بفصين ، والفصان هما اللذان يحكمان حركات الأحجار لا مهارة اللاعب .

فكل من الواحد والخمسة يحرك الشاه أو البيدق والإثنتان تحرك الرخ والثلاثة تحرك الحصان وكل من الأربعة والستة يحركان الفيل .

النرد فى العصور الإسلامية :

ومن الرياضات الذهنية النرد (الطاولة) فلعبها الواثق بن المعتصم

(٩٤٢ ـ ٩٤٧ م) مع حسين بن الضحاك ، كما لعبها الرشيد وشجع اللاعبين بها .

وكان الأمين أيضاً يلعبها مع وزيره الفضل فتراهنا على خاتميهما فغلب الأمين وأخذ الخاتم .

وكان يستعمل للنرد فى العصر العباسى ثلاثون حجراً وفصان على رسم إثنى عشر منزلاً أو أربعة وعشرون منزلاً .

ويروى عن الأمير طغانشاه بن ألب أرسلان حاكم هراوة أنه كان يلعب النرد مع أحمد البديهى الشاعر وكان اللعب على عشرة آلاف دينار .

ولما أوشك اللعب على الإنتهاء وكان عند الأمير حجران فى بيت الشيش وللبديهى فى بيت اليك واللعب للأمير فإحتاط كثيراً ثم رمى ليأتى بالدش فجاء الزهر هبيك فغضب الأمير غضباً شديداً وخرج عن طبعه فكان يمسك السيف فى كل لحظة وإرتعدت فرائص الندماء .

فنهض أبوبكر الأزرقى وإقترب من الطرفين وأنشد :

إذا طلب دوش يأتى الهبيك حتى لا تظن أن الزهر لا يعدل

وفى العصر المملوكى يصف إبن دانيال إغراء الناس بهذه اللعبة وإقبال الناس عليها فيقول :

وللبنج فعل البنج فى اللب ما بدا وألهاك عن صوم الفريضة الفطر
وكالخال نقش (اليك) بسبيك لونه فأنت به صب الفؤاد مدى الدهر
تروقك من شفع ووتر نقوشها وتلهيك ما لاحت عن الشفع والوتر

ومارست النساء النرد فقد وجد فى تركة السيدة عبدة إبنة المعز لدين الله الفاطمى عند وفاتها من الشطرنج والنرد المصنوعة من سائر أنواع الجواهر والذهب والفضة والعاج والأبنوس ورقاع من الحرير ما لا يعد كثرة ونفاسة .

مقتنيات من لعبة النرد :

ومتحف الفن الإسلامى يحتفظ بطاولة ذات درفتين مطعمة بالسن والأبنوس بوسط كل درفة طبق مشتل بلدى ، وعلى ظهرها رقعة شطرنج وبها ١٥ أقشطة بيضاء و١٥ أقشطة حمراء وكذلك ١٦ كلباً بيضاء و١٦ كلباً حمراء لزوم الشطرنج وطول الطاولة٠,٥٤٠ سم وعرضها ٠,٤٨٠ سم وهى تعود لحوالى القرن ١٦ م .
وهذا يؤكد أن أداة لعبة النرد كانت تستخدم فى رياضة الشطرنج بأن تشكل على ظهرها رسوم الأداة الأخرى ويضاف عدد الأدوات الأخرى .

لعبة الورق فى العصور الإسلامية :

وبعد إكتشاف سلسلة من ورق اللعب الخاص بالمماليك والذى يعود على الأرجح إلى القرن ١٥ م فى كنز توبكابى Topkapi فى إسطنبول أظهر ماير Meyer بصورة مقنعة أن هذه الاوراق كانت تشكل ما يعرف اليوم بلعبة الورق الأوروبية .
وكانت هذه الأوراق طويلة الشكل على غرار أوراق اللعب الصينية ، وهى مرسومة باليد باللون الأزرق أوالأسود أو اللون الذهبى أو الزهرى .
وهى تنقسم إلى اربعة أو خمسة أقسام متتابعة هى الكأس والنقود والسيف وعصا البولو وربما العكاز وترمز كل فئة إلى أربعة أشخاص من البلاط تدون وظيفة كل منهم على أسفل الورقة (الملك ثم الحاكم فالمساعد) فى عشرة أرقام .
ويقول جيوفانى جى بوزو Giovani Gay Puza أنه فى القرن ١٤ م دخل لعب الورق إلى فيتوريو Vittorio فى إيطاليا عن طريق العرب حيث كان يطلق عليه إسم النائب أو (نايبى) Nayebi وهى نفسها (نايبس) Niepce فى

الإسبانية ، وهكذا يزعم أن لعبة التاروت Tarot الفينيسية إشتقت من لعبة الورق العربية .

ألعاب السيرك فى العصور الإسلامية :

أما ألعاب السيرك فأقدم ما وصلنا من نشاط العرب المسلمين يعود للعصر الفاطمى حيث قطعة خشبية حفر عليها منظرين لألعاب السيرك .

وفى المنظر الأول يظر رجلاً وقد صعد على حبل ممتد بين عمودين وأمسك بين يديه ثقلين ربما ليحفظ توازنه على الحبل فلا يسقط دراكاً .

وعن يمينه جلس عازفاً وقد أمسك بالناى وعلى يساره يوجد ضارباً على الدف مما يؤكد ملازمة الفرق الموسيقية لألعاب السيرك .

وفى المنظر الثانى يظهر رجلاً وقد أخذ الوضع المقلوب ، يديه إلى أسفل وقدميه إلى أعلى ، ويبدو كأنه يمشى على يديه بمهارة فائقة وبالقرب منه رجلاً يتابع حركاته ربما كان مدربه .

وفى عهد السلطان برسباى قام شخص يدعى يشبك سنة ١٤٢٦ م . ينصب حبلاً من أعلى مدرسة السلطان حسن تحت القلعة ومده حتى ربطه بأعلى المدرسة الأشرفية من قاعة الجبل وتقدر هذه المسافة بنحو ٥٠٠ ذراع وبإرتفاع يزيد عن مائة ذراع ثم ظهر من رأس المئذنة ومشى على الحبل حتى وصل إلى المدرسة الأشرفية وهو فى كل ذلك يمارس ألعاب الرماية بالمكحلة والقوس ، وقد جلس السلطان برسباى والأمراء وكذلك عامة الناس لرؤيته .

كما ظهرت ألعاب السيرك على بعض تصاوير المخطوطات تعود لسنة ١٣٣٤ م منسوبة إلى مصر ، وهى من مقامات الحريرى ، فهناك صورة تمثل أميراً فى مجلس طرب ويظهر لاعباً وهو يؤدى أمامه بعض ألعاب السيرك ، وقد أحنى جسده إنحناءً أخاذاً للخلف حتى ثبت يديه ورجليه على الأرض ، ويوجد على جانبيه رسم لجوقة موسيقية .

وصورت ألعاب السيرك بصورة أخرى عبارة عن مجموعة من اللاعبين يؤدون أوضاع مختلفة ، منها صورة لشخص وقد صعد على حبل ممدود بين عمودين بإرتفاع شاهق وأمسك بيده عصا طويلة ليحفظ بها توازنه ويبدو أنه يتحرك على

الحبل بمهارة .
ثم هناك رتلاً من الفتيات اللاتى يؤدين بعض حركات السيرك الراقصة .
إلى جانب ذلك يوجد رجلاً قد إنقلب رأساً على عقب وكأنه يسيرعلى يديه.
كما توجد صورة عليها نفس المناظر السابقة بالإضافة إلى وجود مصارعين عليها

المصارعة فى العصور الإسلامية :

أما عن رياضة المصارعة فى العصور الإسلامية فنبتدأ بالكلام عن نوع غريب من المصارعة كان يتم على ظهر الخيول .
وهى رياضة شاقة وكانت تتطلب نوعاً خاصاً من المصارعين الفرسان .
لكن ظلت المصارعة الحرة وكذا المصارعة اليونانية – الرومانية تمارس عند العرب بنطاق واسع فى ظل الدولة الإسلامية حتى وجدت عصرها الذهبى فى القرن ١٠ م عندما كانت تمارس فى مصر والعراق .

حلبات المصارعة :

فكان يعمل حلقة فى أحد الميادين وتقام شجرة يابسة فى أطرافها وتعلق عليها الثياب الغالية وتوضع تحتها أكياس فيها دراهم ويجمع على سياج الميدان المطربين والموسيقين ، فمن غلب من المصارعين أخذ الثياب كجائزة .
والمصادر تحدثنا عن أقدم نزال فى العصر الإسلامى الزاهر ، حيث أقيم بداخل حديقة قصر أحد الأمراء الأمويين بين أسطورة المصارعة آنذاك هلال بن الأسعر وبين عبد أصفر شديد الخلق ما ترك أحد فى المصارعة إلا صرعه .
وقد إرتديا إزاراً خاصاً وجعلا على وسطيهما حزاماً غليظاً من الجلد .
وظلا يدوران حول نفسيهما حتى تمكن هلال من منافسه وطرحه أرضاً ليفوز بجائزة الأمير .
ولعل الخليفة معز الدولة هو أشهر من أقام تلك الحلقات ، وصار فى بغداد بالذات فى كل موضع حلبة للمصارعة ، فإذا برز أحدهم صارع فى حضرة الخليفة .
فيحدثنا إبن الجوزى فى كتابه (المنتظم) فيقول : " وإشتهى معز الدولة

المصارعة فكان يعمل بحضرته حلقة فى ميدانية ويقيم شجرة تنصب فى الحال ويجعل عليها الثياب الديباج والعنابى والمرزوى وتحتها أكياس فيها دراهم ويجمع على سور الميدان المخابيث بالطبول والزمور وعلى باب الميدان الدبابات .

ويؤذن للعامة فى دخول الميدان فمن غلب أخذ الثياب والشجرة والدراهم .

ثم دخل فى أحداث بغداد فصار فى كل موضع صراع فإذا برع أحدهم صارع بحضرة معز الدولة فإن غلب أجريت عليه الجرايات فكم من عين ذهبت بلطمة وكم من رجل إندقت " .

وكان الخليفة المهدى بن المنصور من أوائل الخلفاء العباسيين تشجيعاً للمصارعة بل ويعطى توجيهاته للمصارعين فيروى أنه قال لعبدالله بن مالك صارع مولاى هذا ، فصارعه فأخذ بعنقه .

فقال المهدى : شد ، فلما رأى ذلك عبدالله أخذ برجله فسقط على رأسه فصرعه

مصارعة الأسود :

وشهدنا للأسف الشديد فى العصر العباسى إستعادة المصارعة الوحشية فكان الخليفة محمد الأمين يصارع الأسود ، وظلت تلك العادة فى العصر الفاطمى وأصبحت من الرياضات الشائعة .

فيحكى المتنبئ صراعاً دار بين بدر بن عمار (وزير المعتمد) فى مواجهة أسد فقال :

ورد إذا ورد البحيرة زائره ورد الفرات زئيره والنيلا

يطأ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس العليلا

وورد فى مروج الذهب : " كان محمد الأمين نهاية فى الشدة والبطش وحكى أنه إصطحب يوماً وكان خرج أصحاب اللبابيد والحرف على البغل وهم الذين كانوا يصطادون السباع إلى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوشى والقصر فإحتالوا فى السبع إلى أن أتوا به فى قفص من خشب على جمل بختى فحط بباب القصر وأدخل فمثل فى صحن القصر والأمين مصطبح فقال : خلوا عنه وإرفعوا باب

القفص ، فرفعوه فخرج الأسد بذنبه إلى الأرض ، فتهارب الناس وغلقت الأبواب فى وجهه وبقى الأمين وحده جالساً فى موضعه غير مكترث بالأسد ، فقصده الأسد حتى دنا منه فضربه الأمين بيده إلى مرفقة أرمنية فإمتنع منه بها ، ومد السبع يده إليه فجذبها الأمين وقبض على أصل أذنيه وغمزه ثم هزه أو دفع به ومفاصل يديه وقد زالت عن مواضعها ، فأتى بمجبر فرد عظام أصابعه إلى مواصفها وجلس كأنه لم يعمل شيئاً فشقوا بطن الأسد فإذا مرارته قد إنشقت عن كبده " .

ومن صور المصارعة بين الإنسان والأسود التى صورها الأدب العربى ما ساقه بشر بن المعتمر مشيداً ببطولته لما صرع أسداً ، فقال موجهاً حديثه لأخته فاطمة مفتخراً :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
إذاً لرأيت ليثاً رام ليثاً هزبراً أغلبا لاقى هزبرا
دنا ودنوت من أسدين راما مراماً كان إذا طلباه وعرا
يكفكف غلية إحدى يديه ويبسط للوثوب على الأخرى
هززت له الحسام فخلت أنى شققت من الظلماء فجرا
فخر مضرجاً بدم كأنى هدمت به بناء مشمخرا

ومن ذلك أيضاً مديح البحترى للفتح بن خاقان بعد منازلته أسداً فيقول :

فلم أرى ضرغامين أصدق منكما عراكاً إذا الهيابة النكس كذبا
هزبر مشى يبغى هزبراً وأغلب من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا

ثم يقول :

فلم يغنه أن كر نحوك مقبلا ولم ينجه أن حاد عنك منكبا
حملت عليه السيف لا عزمك إنثنى ولا يدك إرتدت ولا حده نبا
وكنت متى تجمع يمينك تهتك الـ ضربة أو لا تبق للسيف مضربا

أما الخليفة المعتضد بالله فكان هو الآخر مغرماً بالمصارعة متمكناً منها كما ورد فى مروج الذهب ذو قوة خارقة يتغلب على البشر والحيوان القوى .

وكان الخليفة المستكفى بالله يكرم المصارعين ويشجعهم على مزاولة المصارعة فإنهمك شباب بغداد فى تعلمها حتى صار كما يحكى السيوطى فى كل موضع فى بغداد موضع صراع .

وكانت المصارعة فى العصرين الأيوبى والمملوكى من المزايا التى ينبغى أن تكون فى الفارس الكامل .

فمارسها السلطان المظفر حاجى (١٣٤٧ م) وكان يحضر العوام يصارعون بين يديه بل أنه لم يتورع عن مصارعتهم ولبس ثوباً جلدياً ، ويتعرى من نصف ثيابه وتلك عادة المصارعين فى ذلك العصر ، تجردهم من ثيابهم بحيث يبقى نصف أجسادهم عارياً وهم يدلكون هذا الجزء بالزيت .

وأحد الأمراء العشرات يقال له قرقماس العلاى المصارع كان ماهراً فى المصارعة لذلك أطلقوا عليه لقب المصارع ، وأشار ابن إياس إلى أحد الأعيان وهو سيدى إسماعيل بن الأمير لاجين بأنه كان بارعاً فى رياضة المصارعة ، وكان الأمير مغلباى الفهلوان وكان يشغل منصب كبير حرس فى عهد السلطان قايتباى عارفاً بفن المصارعة بارعاً فيه .

وشهد العصر العثمانى مشاركة أهل المدن والقرى فى ممارسة تلك الرياضة القاسية .

مناظر للمصارعة :

وهناك منظراً للمصارعة على طبق من الخزف ذى البريق المعدنى الفاطمى وهو للأسف ناقص لفقد بعض أجزائه ويمثل نزالاً بين مصارعين ملتحيين وقد إرتدى كل منهما سروالاً طويلاً ، وتحيط بهما الجماهير ، يظهر أحدهما وقد تمكن من منافسيه لتخفيف قوة ضغط يديه على ذراعيه وإن كان يبدو على وجهه الإعياء الشديد .

ومنظراً يعود لحوالى القرن ١١ م ويمثل مصارعة بين شابين ، وبالرغم من أن المنظر لا يبدو فيه صور مصارع واحد ، أما المصارع الآخر فلا يبدو منه سوى

ذراعه الأيمن وساقيه ، إلا أنه يوضح الحركات الأولى المتبعة عند بداية النزال كما يظهر السروال المستخدم فى المصارعة .

وهناك صورة على إحدى التحف المعدنية تعود للعصر الأيوبى حيث ظهرت رياضة المصارعة على إحدى جامات السطح الخارجى على بدن طست الملك العادل رجلان يصارعان وقد إرتديا سروال المصارعة المعروف للجزء السفلى ، ثم ملابس شفافة للجزء العلوى لأحدهما فى حين لا يرتدى المصارع الآخر ملابس فى الجزء العلوى من جسمه.

ويبدوان وقد أمسك أحدهما بالآخر يريد طرحه أرضاً بينما يحاول الآخر الإفلات ويقاوم خشية الإنبطاح على الأرض .

كما يظهر منظراً آخر للمصارعة خلال القرن ١٣ م ينسب إلى مدينة الموصل حيث رسم على صينية من النحاس المكفت بالفضة تحمل أسماء وألقاب الأمير بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل .

ويبدو منظراً لأحد المصارعين وقد تمكن من منافسيه فأمسك بقدمه اليمنى ووضع رأسه أسفل ساقه اليمنى .

وهناك صورة رائعة تمثل أربعة أوضاع للمصارعة من مخطوط الفروسية فى العصر المملوكى .

الوضع الأول يبدو فيه إثنان من المصارعين وقد وقفا وأمسك كلاهما بالآخر فى محاولة للسيطرة والإطاحة بخصمه كما أن كلاً المصارعين فرج بين قدميه حتى يحفظ توازنه ويتفادى خداع منافسه .

والوضع الثانى وقد أمكن لأحد المصارعين من منافسه فحمله على كتفه ممسكاً بذراعيه وهبط على إحدى قدميه حتى يحفظ توازنه .

والوضع الثالث أحد المصارعين تمكن من منافسه وطرحه أرضاً وأمسك بإحدى قدميه محاولاً الضغط عليها حتى يستسلم فى ذات الوقت الذى ثبت قدمه الثانية بإحدى ساقيه .

والوضع الرابع يظهر فيه أحد المصارعين وقد تمكن تماماً من خصمه بعد طرحه أرضاً محاولاً تثبيته فى حين يحاول خصمه تغيير وضعه وجذب منافسه ليثنيه عن الضغط على قدمه .

إلا أن هذه المحاولة تبدو وقد باءت بالفشل حيث يظهر المصارع الأول وقد تغلب على منافسه وثبت ظهره على الأرض (لمس أكتاف) .

وهناك صورة ظهرت على علبة عاجية أندلسية بإسم المغيرة إبن الخليفة الأموى عبدالرحمن الناصر ومؤرخة بسنة ٩٦٨ م حيث يظهر عليها منظراً للمصارعة بين شابين يمسك أحدهما بالآخر ويحاول طرحه أرضاً .

وفى العصر العثمانى يذكر كلوت بك من علماء الحملة الفرنسية أن المصريين كانوا يميلون إلى مباريات المصارعة حيث يتخلى المصارعون فى نزالهم عن كل ثيابهم بإستثناء سراويلهم ويدهنون أجسامهم عادة بالزيت .

الملاكمة فى العصور الإسلامية :

وفى الملاكمة أورد القلقشندى مكاتبة كتب بها المقر الشهابى بن فضل الله من السلطان قلاوون إلى ملك إيران أبى سعيد بهادر خان جاء فيها :

" وأما الإشارة العالية إلى تقاضى تجهيزه من الملاكمين والسوقات فقد رسمنا بالإنتهاء إليه وقد جهز من الملاكمين والطين المختوم ما أمكن الآن " .

وفى إحدى مخطوطات الفروسية صورة توضح كيفية التدريب على الملاكمة ، وقد وردت فى المخطوطة بإسم اللكام حيث جاء فيها فصل يصف طريقة التدريب ، وهى أن يأخذ اللاعب مخلاة ويملؤها ليفاً أو تبناً وبها خيط وثيق ويعلقها فى السقف حتى صدره " ويحدفها تروح وتجيئ عنه فإذا جاءت إليه لكمها بيده تروح عنه ويصير كلما جاءته لكمها مثل الأول ثم يتلقاها بصدره وذراعه " .

رفع الأثقال فى العصور الإسلامية :

وكانوا يستعملون فى العلاج (رفع الأثقال) الحجارة ، وأورد المقريزى أن السلطان المنصور بن المعز قد زاول تلك الرياضة ، كما زاولها الأمير علاء الدين وأنه كان يعالج بمائة وعشرة أرطال .

ألعاب الفتيات فى العصور الإسلامية :

أما عن الألعاب الخاصة بالفتيات فقد لعبن بأدوات من عاج أو خشب أو بعض الرقاع على صورة أنماط كما فعلت (فوز) صاحبة الشاعر العباس بن الأحنف الذى قال :

لها لعب مصففة تلقبهن ألقابا

تنادى كلما ريعت من الغرة يابابا

ويحتفظ متحف برلين Museum Fur Islamisch Kunts بعروسة من الجلد صنعت فى مصر خلال القرن ١٥ م وهى تمثل الفارس والصياد إحدى شخصيات مسرح الظل الذى أقر منذ العصر العباسى ويشبه المسرح الإيطالى الشعبى Comedia Dellarte .

وقد سجل أحد الشعراء رسالة ذلك المسرح الترفيهية فقال :

متنوع الحركات يلعب بالنهى لبس المحاسن عند خلع لباسه

بالعقل يلعب مقبلاً أو مدبراً كالدهر يلعب كيف شاء بناسه

ويضم للقدمين منه رأسه كالسيف ضم ذبابه لرئاسه

وكانت لهذه الألعاب سوقاً خاصاً بها فى شتى الأقطار العربية والأدلة على ذلك عديدة أبرزها ما أورده الماوردى فى (أحكام الحسبة من الأحكام السلطانية) .

obeikandl.com

obeikandl.com

الهوامش والتعليقات :

١) للرمح قديماً عند مقبض اليد حلقة من سير جلدى وكان الرامى يدخل أصابعه فى الحلقة مما يعطيه قوة زائدة للسحب .

٢) محفوظ بمتحف أثينا الوطنى تحت رقم 3477 .

٣) محفوظة بالمتحف المصرى تحت رقم ٦٠٩٩

٤) محفوظة بمتحف المتروبوليتان تحت رقم 2062047 .

٥) محفوظة بمتحف بوشكين تحت رقم 13466 .

٦) محفوظ بالمتحف المصرى تحت رقم ١٣٤٦٦

٧) محفوظ بالمتحف المصرى تحت رقم ٤٠٤٠

٨) محفوظ بالمتحف المصرى تحت رقم ٤٠٣٩

٩) محفوظة بالمتحف المصرى تحت رقم ٧٠٥٢

١٠) محفوظ بمتحف بولونيا تحت رقم ١٨٨٩

١١) محفوظ بالمتحف المصرى تحت رقم ٦٢٦١

١٢) محفوظة بمتحف اللوفر تحت رقم 25486 .

١٣) محفوظة بالمتحف اليونانى الرومانى تحت رقم ١٨٢٣٨

١٤) محفوظة بالمتحف القبطى تحت رقم ٦٤٧٠

١٥) مما جاء فى كتاب كشف الظنون أن الإحتفال بدخول الشباب جماعة الفتوة على عهد الناصر لدين الله كان مصحوباً بشرب كأس الفتوة ، وهو كأس من ماء وملح .

obeikandi.com

١٦) محفوظة بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحت رقم ١٠٩٥٦

١٧) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ٣٤٦٥

١٨) إسم تركى للقرعة التى يضعونها أو يضعون فيها طيراً ويرمونها بالنشاب على ظهور الخيل .

١٩) كلمة فارسية تعنى الرصاص أو الطين أو الحجر ، وترمى بقوس البندق .

٢٠) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ١٨٢٣٥

٢١) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى ١٤٥١٦

٢٢) ألواح مارستان قلاوون : كانت فى الأصل موجودة بالقصر الغربى الفاطمى ، ثم نزعت ووضعت فى مارستان قلاوون ، ولذا عرفت بإسم ألواح قلاوون ، وهى الآن محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ٣٤٦٩

٢٣) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت أرقام ١٠٨١٩ ، ١٠٨٢٠ ١٠٨٢١

٢٤) محفوظة بمخطوط كتاب المخزون الجامع للفنون لإبن خزام ، ومحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس .

٢٥) محفوظ بمتحف اللوفر تحت رقم 3435 .

٢٦) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ٥٠٤٣

٢٧) محفوظ بمتحف الفرير جاليرى .

٢٨) محفوظ بمتحف بناكى بأثينا .

٢٩) محفوظ بالمتحف القبطى تحت رقم ١٣٩ / ٧٧٨

٣٠) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ١٣٤٧٧

٣١) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ١٤١٣٤

٣٢) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ٢٤٠٧٨

٣٣) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ١٥١٢١

٣٤) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ١٥٠٤١

٣٥) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ١٠٨٣٠٩

obeikandl.com

٣٦) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ٢٤٥٧٨

٣٧) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ٥٠٢٤

٣٨) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ٥١٤٩

٣٩) محفوظة بالمتحف القبطى تحت رقم ٦٩١

٤٠) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ٧٤٣٦

٤١) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ١٣٠٠٤

٤٢) محفوظ بمتحف اللوفر تحت رقم 5991 .

obeikandl.com

أهم المراجع والمصادر :

١) إبراهيم علام (جهينة) : مدونة الألعاب الأوليمبية قديماً وحديثاً ، الجزء الأول ، مطبعة شندلر ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٢) إبن إياس : تاريخ مصر ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الطبعة الأولى ، بولاق ١٣١٢ هـ .

٣) إبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة (ب . ت) .

٤) إبن جبير : رحلة إبن جبير ، تحقيق : حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٥) إبن جماعة الحموى : مستند الأجناد فى آلات الجهاد ، شرح وتحقيق أسامة النقشبندى ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٣ م

٦) إبن الحسين ، بازيار العزيز بالله الفاطمى : البيزرة ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٥٢م

٧) إبن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مجلد ٩ ، بيروت ١٩٣٨ .

٨) إبن القيم : الفروسية ، مطبعة الأنوار ، ١٩٤٢ م .

٩) إبن قتيبة: عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

١٠) إبن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت

obeikandl.com

١١) إبن هشام: السيرة إلنبوية ، دار الفكر ، بيروت ، ج ٢
١٢) أبوالمظفر بن سعيد المعروف باللجلاج : كتاب الشطرنج ، مخطوط مصور ميكروفيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول لعربية ، تحت رقم ١ موسيقى ١٩٤٢.
١٤) أحمد أمين : الفتوة فى الإسلام ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، المجلد السادس ، مايو ١٩٤٢ م .
١٣) خيال الظل واللعب والتماثيل المصورة عند العرب ، القاهرة ١٩٨٥ م
١٤) أحمد تيمور : لعب العرب ، القاهرة ١٩٤٨ م
١٥) أحمد عبدالرازق : وسائل التسلية عند المسلمين ، دراسات فى الحضارة الإسلامية ، مجلد ١ ، القاهرة ١٩٨٥ م .
١٦) أحمد نجم وآخرون : أصول الشطرنج ، الإسكندرية ١٩٥١ م .
١٧) أمين الخولى : الرياضة والحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٥ م
١٨) الألوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، ط ٣ ، مطابع دار الكتاب العربى بمصر ، ج ٣
١٩) الجاحظ : الحيوان ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة البابى الحلبى ، القاهرة ، مصر (د . ت) .
٢٠) رسالة فى الجد والهزل ، مجموعة رسائل ، تحقيق هارون ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، مصر ١٩٦٤ م .
٢١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ط١ ، ج ٢ ، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ م
٢٢) السيد الباز العرينى : الفروسية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه ، القاهرة ، ١٩٥٥ م
٢٣) القلقشندى : مآثر الأناقة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

٢٤) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ط ٣ المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٨ م
٢٥) المقريزى : المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، دار صادر ، بيروت (ب. ت)
٢٦) بطرس عبدالله وآخرون ، قاموس الكتاب المقدس ، المطبعة الإنجيلية ، بيروت ، ١٩٦٤ م .
٢٧) ثروت عكاشة : التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ م .
٢٨) الفن العراقى فى سومر وبابل وآشور ، المؤسسة العربية للدراسات ، بدون تاريخ .
٢٩) جرجى زيدان : الفنون الإسلامية فى العصر الأيوبى ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٩م
٣٠) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ٣ ، ج ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠ م .
٣١) جلال الدين السيوطى : المسارعة إلى المصارعة .
٣٢) الباحة فى السباحة ، دراسة وتحقيق : إبراهيم عبدالله الحازمى .
٣٣) طيبغا الأشرفى : بغية المرام وغاية الغرام فى الرمى بالنشاب ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٣ فروسية
٣٤) عبدالعزيز صلاح سالم :الرياضة عبر العصور ، تاريخها وأثارها ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ١٩٩٨
٣٥) عبدالمنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٧ م .
٣٦) على بركة : قصة الرياضة فى الأديان ، السياسة ، الحضارات القديمة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٢م
٣٧) كشاجم : المصايد والمطارد ، حققه مجد أسعد طلس ، دار المعرفة

٣٨) صلاح حسين العبيدى : الصيد والقنص وسائل التسلية عند المسلمين ، المجلد الأول فى دراسات الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن ١٥ الهجرى ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٥ م .
٣٩) فى الآثار العربية الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد
٤٠) محمد بن على الصغير : رمى النشاب ، مخطوط مصور ميكروفيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية ، تاريخ النسخ ٨٢١ هـ تحت رقم ٢١ فنون حربية
٤١) محمد عادل خطاب ، الألعاب الريفية ، الدار المصرية للطباعة والنشر ، بدون تاريخ
٤٢) محمد كامل علوى : التربية الرياضية عند العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة
٤٣) ملحمة كلكامش ، تحقيق طه باقر ، دار الشئون الثقافية (آفاق عربية) ، ط ٦ ، بغداد ٢٠٠٢ م
٤٤) نبيل محمدعبدالعزيز : الخيل ورياضاتها فى عصر سلاطين المماليك ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٧٦ م
٤٥) واصف بطرس غالى : تقاليد الفروسية عند العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ م
46) James Henry Brested , Ancient Records of Egypt . 5 vol chicago , 1906
47) Incylopaedia Amercana K Art . Bullfighting